التجديد الحضري لحمامات مدينة القاهرة – عصر المماليك

(٦٤٨ – ٩٢٣هـ /١٢٥٠ – ١٥١٧م)

دراسة في الجغرافيا التاريخية(*)

دكتور

وائل مصطفي محمود يوسف حسين

مدرس الجغرافيا التاريخية ونظم المعلومات الجغرافية

كلية الآداب جامعة كفر الشيخ

دكتور

إيمان عيد عبد الحميد

مدرس الجغرافيا التاريخية

كلية البنات – جامعة عين شمس

الملخص:

نالت الحمامات اهتمام المماليك كونها تمثل أحد المنشآت الخدمية الضرورية التي ارتبط وجودها بالحياة الدينية والصحية والاجتماعية، فضلا عن كونها من المعالم المعمارية المهمة، ومظهرا من مظاهر التمدن والرقي الحضاري، وساعدت على انتشار الحمامات بمدينة القاهرة في العصر المملوكي بعض العوامل الجغرافية أهمها زيادة الكثافة السكانية، ورواج حركة التجارة بالمدينة، وكثرة المؤسسات الدينية وإيقاف الحمامات عليها، وبالإضافة لذلك يعد عامل المناخ من العوامل الأساسية التي ساعدت على انتشار الحمامات.

انقسمت الحمامات إلى الحمامات الخاصة، والعامة والوقفية وحمامات أهل الذمة، وتشترك جميع الحمامات في المدخل المنكسر والذي يوصل لغرفة المسلخ، ومن ثم الدخول إلى غرف التدفئة عن طريق ممرات ضيقة مليئة بالبخار ثم إلى غرفة المغطس والغرف الساخنة ويتم الخروج بنفس ترتيب الغرف، ويحتاج الحمام الواحد أكثر من ١١ عاملًا تقريبا.

تركزت الحمامات في مدينة القاهرة في **منطقتين: الأولى** كانت الشمالية والشرقية من مدينة القاهرة حيث وجود منطقة القصابة وهي الشريان التجاري بالمدينة، أما **الثانية** فكانت ضواحي القلعة حيث مقر العسكريين، كما تتزايد أعداد الأسواق مثل سوق السلاح وسوق

(*) **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٣) العدد (٧) أكتوبر ٢٠٢٣.**

الرميلة، وعلى العكس تكاد تكون المناطق **الغربية والجنوبية** محرومة من الحمامات، بسبب تطرف هذه المناطق عن قلب المدينة.

تم انشاء خريطة للحمامات المملوكية الباقِية والمندثرة، وبلغ عدد الحمامات التي تم حصرها من المصادر المختلفة (٤٢) حماما، بلغ عدد الباقِية منها (٥)، بينما بلغ عدد المندثرة التي خربت (٣٢) حماما، وتوجد حمامات باقِية من العصر المملوكي ومع هذا لم تُثبت بسجلات وزارة الآثار وهو حمام شيخو.

تحتاج حمامات العصر المملوكي الباقِية في مدينة القاهرة (أينال، الشرايبي، المؤيد، بشتاك، شيخو) إلى إعادة تجديد وترميم لكي يتم وضعها على خريطة الآثار المصرية، فجميعها في عام ٢٠٢٢م مغلقة (ماعدا حمام اينال).

الكلمات المفتاحية: الحمامات–القاهرة–عصر المماليك– التجديد الحضري–الجغرافيا التاريخية

Civilized Revival for Cairo's hammams - Mamluk Era (648-923 Hijri / 1250-1517)

A Study in Historical Geography

Abstract

The hammams took Mamluks interest as it was one of necessary service facilities that has a connection with the religious, health and social life, as well as being an important architectural landmark, a manifestation of civilization, and cultural progress. Some geographical factors have helped to spread the existence of hammams in Cairo in the Mamluk period, the most important of which is the increased population, the active trade in the city, and the religious institutions that depended on the hammams. In addition, the climate was a key factor that has helped in the increased number of hammams .

The hammams were divided into private, public and upright baths in addition to people of Dhimma hammams. All the hammams share the broken entrance that leads to the room were clothes are taken off, then entrance of the heating rooms through narrow passages filled

with steam then to the bath room and hot rooms and exit is in the same order. A one hammam needs more than 11 workers.

The hammams in Cairo were centered in two areas: the first was the north and the east of the city where the Qassaba area, which was the commercial artery of the city, was located, and the second was the outskirts of the citadel where the military headquarters. The number of markets were also increasing, such as the arms market and Rumaila market, on the contrary the western and southern areas are almost deprived of hammams, due to the extremity of these areas from the heart of the city.

A map was created for the extant and scattered Mameluke hammams, and the number of hammams that were counted from various sources were (42), the number of remaining ones were (5), while the number of extant and destroyed baths were (32) hammams, and there were remaining hammams from the Mameluke era, however, it has not been proven in the records of the Ministry of Antiquities like the Shikhu hammam.

The Mamluk remaining hammam in Cairo (InaL, AlSharaiby, Almoayyed, Bashtak, and Shikhu) need to be revived and repaired to be put in the map of Egyptian antiquities, as these hammam are closed in 2022 (except Inal hammam) .

Keywords: hammams, Cairo, Mamluk Era, revival, Historical Geography).

المقدمة:

للحمامات[١] دور مهم في الدراسات الاجتماعية التاريخية، لأنها تظهر الجوانب المتعددة من صيغ الحياة الاجتماعية للشعوب والمجتمعات باعتبار أن هذه الحمامات مؤشر لبيان الرقي الإنساني الباحث عن الاهتمام بالتنظيف والاعتناء بالصحة العامة باعتبارهما من روافد الحضارة الإنسانية عبر التاريخ (عبد الكريم عزالدين، ٢٠٠٦، ص ٣٨٢).

كانت الحضارات القديمة تهتم بموضوع الطهارة كطقس ديني، حيث يرتبط التطهر في مصر بعقيدة الشمس، وفي مواسم تتويج الملك والاحتفال

بتجديد جلوسه على العرش، وكانت مياه النيل الجارية في أي مكان رمزا للطهارة، ويذكر هيرودوت أن مصريا مسه خنزير أثناء مروره فذهب في الحال إلى النهر ليتطهر من نجاسة الحيوان فغطس بملابسه فيه، ومن الحالات التي كان يتطهر فيها المصري القديم بالماء: الجنابة والنفاس للنساء وحالات أخرى (رحاب عبد المنعم، ٢٠٠٥م، ص ١٠٧)، وقد ظهرت الحمامات في العصر الفرعوني في المعابد المصرية القديمة وكانت عبارة عن حجرات صغيرة تلحق بالمعبد لطهارة الكهنة ولا يشترط فيها الماء الحار EL Khashab Abdel-Mohsen,1979,p4)، ويقال إن أول من وضع الحمام هو سيدنا سليمان عليه السلام وذلك ربطا مع قصته ببلقيس ملكة سبأ حين تزوج منها (الطبري ، ب. ت، ص ١٦٥) وازدهرت الحمامات خلال العصر اليوناني والروماني في مصر شهدت الفترة التي أعقبت دخول الإسلام تطورًا سريعًا في تاريخ الحمامات العامة وتحولًا من عادات الاستحمام الرومانية إلى الإسلامية (Magda Sibley,2006,p1).

وفي أوروبا كانت الحمامات محرمة خلال فترة الدراسة، ولم تعرف إسبانيا الحمامات إلا بعد نزول العرب بها، ولم تقتصر الحمامات على المدن الإسلامية بالأندلس بل تعدتها في مدن أخرى (توريس بلباس،١٩٥٣ ص١١٠ – ١١٨).

أهتم المسلمون بها مبكرا انسجاما مع تعاليم دينهم الحنيف الذي لطالما حث أتباعه على الطهارة باعتبارها أحد الشروط الأساسية الواجب توافرها لاكتمال الإيمان، فلم تَخْلُ مدينة أو قرية على امتداد التاريخ الإسلامي ولأهميتها كثيرا ما تقام في وسط المدن والأسواق ليتمكن الناس من الوصول اليها بيسر (شوكت الأتروشي، ٢٠١٧م، ص ٢٤٣).

والبحث محاولة لدراسة جغرافية تاريخية للحمامات بمدينة القاهرة في عصر المماليك ٦٤٨ – ٩٢٣هـ /١٢٥٠ – ١٥١٧م) للتعرف على أهميتها وتخطيطها وتوزيعها الجغرافي والعوامل التي ساعدت على وجودها هناك وما

طرأ عليها من تطور وشكلها الحالي، وبيان أنواعها وطرق حمايتها والمحافظة عليها، وماهية الخدمات التي كانت تقدمها والتعرف على القائمين على إدراتها وطبيعة الإشراف والرقابة من قبل الدولة المملوكية.

منطقة الدراسة:

تطلق القاهرة على ما دار عليه السور[٢] فقط، ثم حدثت العمائر فيما وراءه فصار يقال لما خرج من السور ظاهر القاهرة وهو أربع جهات: الجهة الجنوبية وفيها معظم العمارة في القرن التاسع ولكن تلاشت بعد ذلك، والجهة الشمالية وتكونت قبل ٧٠٠هـ، والجهة الشرقية وبها ترب القاهرة ولم تحدث العمائر بها إلا بعد سنة ٧١٢هـ، وأما الجهة الغربية فأكثر العمائر بها لم يحدث إلا بعد سنة ٧١٢هـ أيضا، وإنما كانت معظم مساحتها بساتين ونهرا (المقريزي، ١٩٩٨م، ج٢، ص٥٢).

ومع تولي صلاح الدين مقاليد الحكم في مصر تغيرت صفة القاهرة وجعلها لسكن العامة والجمهور، وقد أمر ببناء سور يحيط بالقاهرة والفسطاط، وقد شرع في إقامته سنة ٥٦٦هـ ومات ولم يتمه (عبدالعال الشامي،١٩٧٣، ص ٤٨٦)، ووصفها ابن ظهيرة بأنها عبارة عن "مجمع مدني كبير يضم عدة مدن مجتمعة إذ في كل شارع وخط ومخلة منها بيوت ودروب وأسواق.. تصلح أن تفرد بمدينة واحدة بل في كل ربع من ربوعها ما يعمر قرية ، وهي الآن أحق بقول أبي إسحاق الزجاج في بغداد هي حاضرة الدنيا وما سواها بادية"(ابن ظهيرة،١٩٦٩م، ص ١٨٥ – ١٨٦) وتأثر العمران بمدينة القاهرة بإقامة قلعة الجبل والتي أثرت في اتساع العمران خارج باب زويلة في شرقي مصر حتى التأم العمران القديم والحديث، والقلعة الصالحية بالروضة والتي أثرت في عمران مصر الشمالي، أما الامتداد الجنوبي فكان يحدده انحسار النيل لاسيما الذي حدث بعد عام ٦٠٠هـ بحيث ترك أرضا جديدة صالحة للعمران (عبدالعال الشامي،١٩٧٣م، ص٤٩٠).

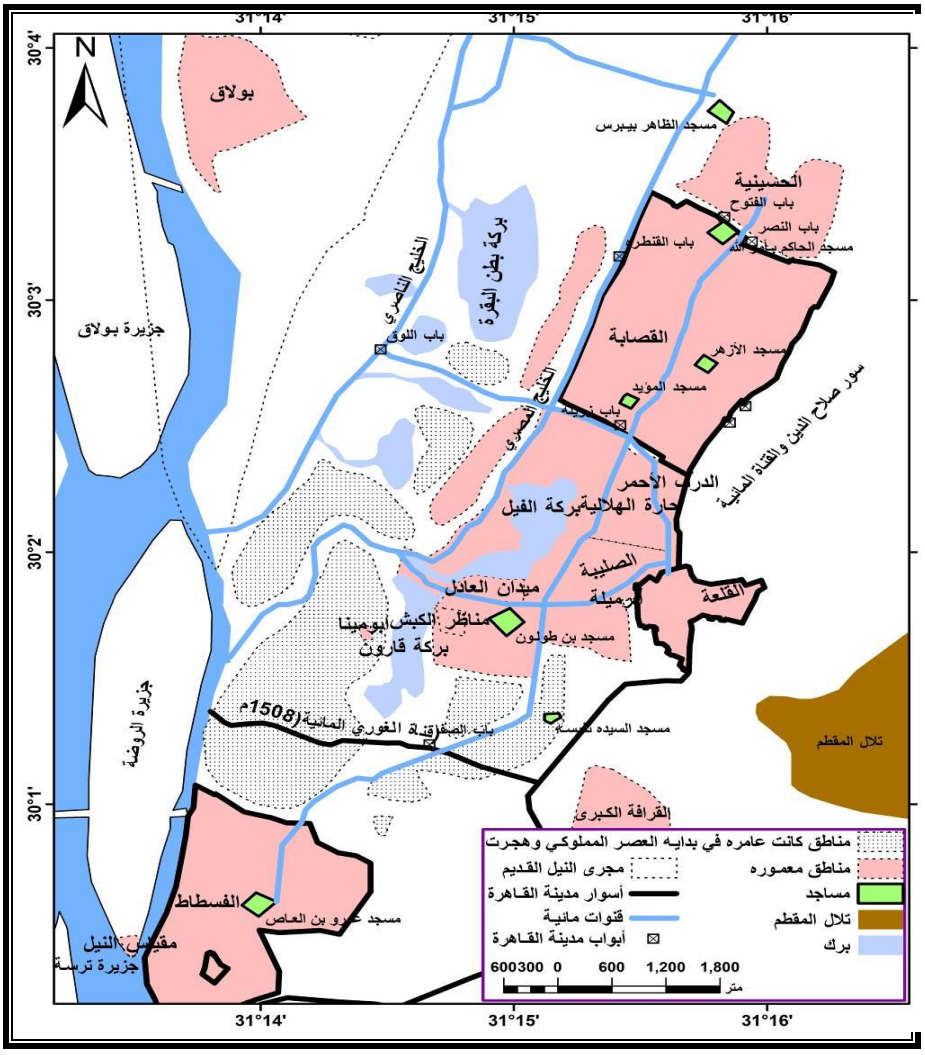

المصدر: من عمل الباحث اعتمادا على:

- Dina Ghaly,2004, p250. (في ترقيم مناطق العمران والبرك والقنوات المائية وتلال المقطم)
- برنامج Google Earth (ترقيم أسوار القاهرة وقناة الغوري والقلعة والمساجد).

شكل (١) القاهرة في العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ /١٢٥٠ – ١٥١٧م)

وتعرض هذا المجمع المدني أكثر من مره للتدهور والخراب ثم التجديد إبان المجاعات ويذكر المقريزي بعد تحديده السابق "وقد أدركنا هذه المواضع وهي عامرة وشيوخنا تقول هي خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل الفناء الكبير سنة ٧٤٩هـ وقد تلاشت هذه الأماكن وعنها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ٨٠٦هـ"، كما كان للفيضانات العالية أثرها على العمران القائم على امتداد ساحل النيل في القاهرة(المقريزي، ١٩٩٨م، ج٢، ص ص٦-٥٤)(شكل ١).

وجمعت القاهرة خلال العصر المملوكي بين عدة وظائف منها الوظيفة الإدارية والسياسية باعتبارها عاصمة للبلاد، والوظيفة الحربية لما بها من قلاع وأسوار وأبراج، والوظيفة الصناعية حيث قام بالمدينة العديد من مصانع النسيج(وائل مصطفى ،٢٠٢٢م، ص٤٦٦) وصناعة السفن والجلود وطحن الغلال وعصر الخمور، والوظيفة التجارية وتمثلت في الأسواق الكثيرة ويصفها المقريزي بأن بها أكثر من ١٢ ألف حانوتا[٣]، ووظيفة ثقافية وصحية وترفيهية فقد أحصى المقريزي الجوامع ،المساجد، المدارس، والأسبلة ،الكتاتيب ، والحمامات ،الأديرة ، الكنائس وغيرها.(المقريزي، ١٩٩٨م، ج٢)

أسباب اختيار موضوع ومنطقة الدراسة:

تم اختيار موضوع الحمامات في مدينة القاهرة في العصر المملوكي موضوعًا للدراسة لعدة أمور:

١- معظم الآثار التي نشاهدها اليوم في مدينة القاهرة، وهي من تراث العصر المملوكي، إلا أننا نجد ندرة في أثار الحمامات في الفترة الحالية بالرغم من أنها كانت تتعدي الأربعين حماما خلال العصر المملوكي، لم يتبقَ منها سوى خمس حمامات مملوكية فقط، حيث الإهمال الشديد الذي أصاب الحمامات بصفة عامة والمملوكية بصفة خاصة.

٢- الحمامات من أهم المنشآت الخدمية بالمدينة الإسلامية على مدار الفترات التاريخية المختلفة، يستخدمها كل السكان؛ العامة، الفقراء، السلاطين، الأمراء.

٣- الحاجة لدراستها باعتبارها تدل على الحالة الاقتصادية في المجتمع في فترة العصر المملوكي.

٤- أهميتها باعتبارها مراكز اجتماعية، ودور شفاء لمختلف الأمراض بمدينة القاهرة خلال فترة الدراسة.

تساؤلات الدراسة

- ما أهمية الحمامات في العصر المملوكي، وما العوامل الجغرافية التي ساعدت على وجودها؟
- ما أنواع الحمامات في العصر المملوكي وهل يمكن تحديد مواقعها؟
- هل جميع حمامات العصر المملوكي ما زالت باقٍه أم اندثرت؟ وما حالتها من حيث التجديد الحضري؟
- هل يمكن الاستفادة من هذه الحمامات اقتصاديا؟

أهداف الدراسة:

١- تهدف الدراسة إلى تحقيق الغاية من آية دراسة في الجغرافيا التاريخية، وهي رسم صورة للجغرافيا خلال فترة ماضية، لأن الحاضر يكتسب أهميته وأصالته من الماضي، وقد جاءت هذه المحاولة لاسترجاع الصورة الجغرافية للحمامات في مدينة القاهرة خلال العصر المملوكي، وتمتد فترة حكم سلاطين المماليك من (٦٤٨ – ٩٢٣هـ /١٢٥٠ – ١٥١٧م) وقد امتدت هذه الفترة لأكثر من قرنين ونصف شهدت مصر خلالها ازدهارا واضمحلالا في بعض أمورها والعكس في أمور أخرى.

٢- رسم صورة جغرافية عن الحمامات بمدينة القاهرة خلال العصر المملوكي لاسيما التي اندثرت ولم تعد موجودة الآن.

٣- تقييم الحمامات الباقِية في الفترة الحالية (٢٠٢٢م) والتعرف على أهم المشكلات التي تواجهها، وعمل تصور بطريقة تجديدها والاستفادة منها مستقبلا من خلال الدراسة الميدانية.

مناهج وأساليب الدراسة:

قامت الدراسة على استقصاء المادة الجغرافية من مصادرها متتبعة الترتيب التاريخي، ثم تحليلها وإعادة صياغتها جغرافيا بهدف رسم صورة جغرافية عن الحمامات في العصر المملوكي والتجديد الحضري لها، واتبع في هذه الدراسة **المنهج التاريخي** ويستخدمه الباحث لإبراز البعد الزمني وذلك عند تتبع نشأة الحمامات العامة والخاصة خلال مدة الدراسة والحالة التي وصلت اليها في الفترة الحالية (٢٠٢٢م)، كما استعان الباحث **بالمنهج الوصفي** من خلال تشكيل الهيكل العام للدراسة في ظل ندرة المادة التاريخية وتفرقها بين الكتابات في شذرات دقيقة، وأستخدم الباحث المنهج التحليلي من خلال كما استعان الباحث بأسلوب **الدراسة الميدانية** من خلال زيارة الحمامات المملوكية الباقِية بمدينة القاهرة، للتعرف على أحوال الحمامات ووصفها وأهم المشاكل التي تواجهها من أجل تجديدها الحضري، وذلك في الفترة من ٢٧ – ٢٩ أغسطس ٢٠٢٢م، وأعتمد الباحث على الأسلوب الكارتوجرافي في .

الدراسات السابقة:

ليس هناك دراسات جغرافية تعرضت للتجديد الحضري للحمامات في مدينة القاهرة في الفترة الزمنية التي تم أختيارها وهي عصر سلاطين المماليك، الا أن هناك مجموعة من الدراسات التاريخية والآثرية التي أمكن الإستفادة منها في استكمال معالجة هذه الدراسة نذكر منها:

- دراسة خالد زنيد بعنوان "الحمامات العامة في بلاد الشام في العصر المملوكي" (خالد زنيد، ٢٠٠٣م) وتناول البحث أهمية الحمام في المدينة الإسلامية وانوعها وطرق إدارتها والإشراف عليها.
- دراسة عبد الكريم عز الدين بعنوان "الحمامات الشامية في العصر العباسي المتأخر" (عبد الكريم عز الدين ٢٠٠٦م)، وتناولت الدراسة أهمية

الحمامات الشامية وأنواعها وكيفية استعمالها، حيث اهتمت الدراسة بالجانب التاريخي.

- دراسة منصور محمد بعنوان "الحمامات العامة بمدينة حلب منذ بداية العصر الأيوبي حتى نهاية العصر العثماني دراسة آثاريه مقارنة " (منصور محمد،٢٠١٤م) واهتمت الدراسة بالجانب الحضاري والوصفي للحمامات بمدينة حلب.
- دراسة شوكت الأتروشي بعنوان "الحمامات في مصر الأيوبية ٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١- ١٢٥٠م" (شوكت الأتروشي، ٢٠١٧م) وتناولت الدراسة حمامات مصر في الفترة الأيوبية من حيث أبرز الحمامات الموجودة، وما طرأ عليها من تطور مقارنة بالفترات التاريخية السابقة وأنواعها والخدمات التي تقدمها.
- دراسة محمد حسام الدين بعنوان " الحمامات العامة في مصر دراسة ميدانية عن المستوقد وتوصيل المياه" (محمد حسام الدين،٢٠١٧م) واهتمت هذه الدراسة بغرفة المستوقد وطريقة توصيل المياه لغرف الاستحمام.

وقد جاء هذا البحث ليناقش خمسة أمور رئيسية **أولها:** أهمية الحمامات التاريخية والعوامل الجغرافية التي ساعدت على وجود الحمامات في العصر المملوكي بمدينة القاهرة، **وثانيها:** دراسة تخطيط الحمامات بمدينة القاهرة في العصر المملوكي، **وثالثها:** جاء ليناقش أنواع الحمامات بمدينة القاهرة في العصر المملوكي، **ورابعها:** دراسة التوزيع الجغرافي للحمامات المملوكية بمدينة القاهرة وحالتها من حيث إنها باقٍة أم اندثرت، أما الأمر **الخامس:** تناول حالة الحمامات المملوكية الباقٍة بمدينة القاهرة والمشاكل التي تواجهها من أجل الحفاظ عليها وتجديدها الحضري.

أولا الأهمية التاريخية للحمامات بمدينة القاهرة:

للحمامات في المجتمع الإسلامي أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية؛ فإن عادة الاستحمام متأصلة في سلوك المسلمين، وقد كانت الحمامات من مرافق المدن الهامة التي تعطي المدينة صفتها الحضرية، وأكثر من هذا فقد جعلها ابن خلدون من المظاهر المميزة للمدن المستبحرة حيث مما تدعو إليه عادة الترف والغنى والتنعم (ابن خلدون، ١٩٨٨م، ص٤٧٢).

تمثل الحمامات أحد أهم المنشآت الخدمية التي ارتبط وجودها بالحياة الدينية والاجتماعية والصحية، ولأهميتها البالغة فقد شكلت إحدى الخصائص الهامة للمدينة الإسلامية ونواة رئيسية لنشأتها الأولى (شوكت الأتروشي، ٢٠١٧م، ص ٢٤٣) بل لا تأخذ الناحية أو القرية صفة المدينة أو المصر إلا عندما يتوفر فيها: الحمام والجامع والسوق والقاضي والوالي والنهر (أحمد بن محمد الحيمي، ١٩٨٦م، ص٩١)، كما كان الحمام هام أيضا بالنسبة للنساء تناقش أمورهن الخاصة حيث يتفق على أمور الزواج (علماء الحملة الفرنسية،١٩٩٢، ج١٠، ص٢١٨)، وفضلا عن وظيفة الحمام الصحية والترفيهية، فقد كان للحمام غرضه الديني- كما هو الحال في جميع مرافق الحياة الإسلامية (توريس بلباس،١٩٥٣ ص١٠٩-١١٠) ومن ثم فقد كان الحمام يبدأ من السحر[٤] لحاجة الناس إليه للتطهر قبل الصلاة (ابن الأخوة ،١٩٧٦م، ص٢٤١)

ولم تقتصر أهمية الحمام في عصر المماليك على أنها مكان لنظافة البدن فحسب، بل كانت مركزا اجتماعيا كذلك، فالمريض إذا دخل الحمام اعتبر ذلك اعلانا لشفائه والعريس أو العروس يجب على كلا منهما دخول الحمام قبل الزفاف (محمد سيف النصر أبو الفتوح، ١٩٩٩م، ص٧٥)، (سعيد عاشور، ١٩٩٢م، ص١٠٧).

تجدر الإشارة إلى أن زيادة أعداد **السكان** في مدينة القاهرة في العصر المملوكي والتي ترجع إلى تدفق المسلمين إليها من سائر الأقطار للتجارة وتلقي

العلم (ابن جبير، ١٩٨م، ص٣٣٧) ولم تكن هناك مدينة تضاهي القاهرة في عدد السكان، كما وصفها ابن بطوطة بأنها كانت" أم البلاد المتناهية في كثرة العمارة.. ومجمع الوارد والصادر، ومحط الضعيف والقادر، تموج موج البحر بسكانها وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها."(ابن بطوطه، ١٩٥٨م، ص ٥٤) وكانت القاهرة مركزا مهما في **طريق** الحجاج المغاربة والأندلسيين شكل (٢) الأمر الذي انعكس على زيادة الحاجة لبناء الحمامات كغيرها من المنشآت الخدمية العامة كالمدارس البيمارستانات[٥] والخانات[٦] والتي لم تخلو منها المدن الإسلامية (شوكت الأتروشي، ٢٠١٧م، ص ٢٤٧)

كما كانت القاهرة في هذه الفترة من أهم مراكز **التجارة** العالمية لا سيما بعد أن تعطلت طرق التجارة بين الشرق والغرب بسبب وقوعها تحت سيطرة التتار، وبقي طريق مصر والبحر الأحمر وحده بعيدا عن تهديدهم (شوكت الأتروشي، ٢٠١٧م، ص ٢٤٨)، الأمر الذي ساهم في ازدهار النشاط الاقتصادي والتجاري، وعاد ذلك على مصر بثروة كبيرة ظهرت صورتها في الرخاء والرفاهية التي تنعم بها المجتمع المصري (سعيد عاشور، ١٩٧١م، ص١٧١) الأمر الذي انعكس على زيادة الحمامات بمدينة القاهرة لا سيما أنها كانت مركزا مهما على طريق القوافل (شكل ٢).

ومن البديهي أنه كلما زادت عدد **الأسواق** زادت معها عدد الحمامات كونها من المنشآت الخدمية الضرورية التي تخدم السوق، حيث اهتم حكام مصر الإسلامية بالأسواق والمنشآت التجارية بالقاهرة (الشيخ الآمين محمد عوض الله، ٢٠١٤م، ص٣١) وقلما نجد سوقا وليس فيه حماما ويصف ناصر خسرو القاهرة قائلا " قدرت أن في القاهرة مالا يقل عن عشرين ألف دكان ...والأربطة والحمامات والأبنية الأخرى كثيرة لا يحدها الحصر" (ناصر خسرو، ١٩٩٣م، ص١٠٤).

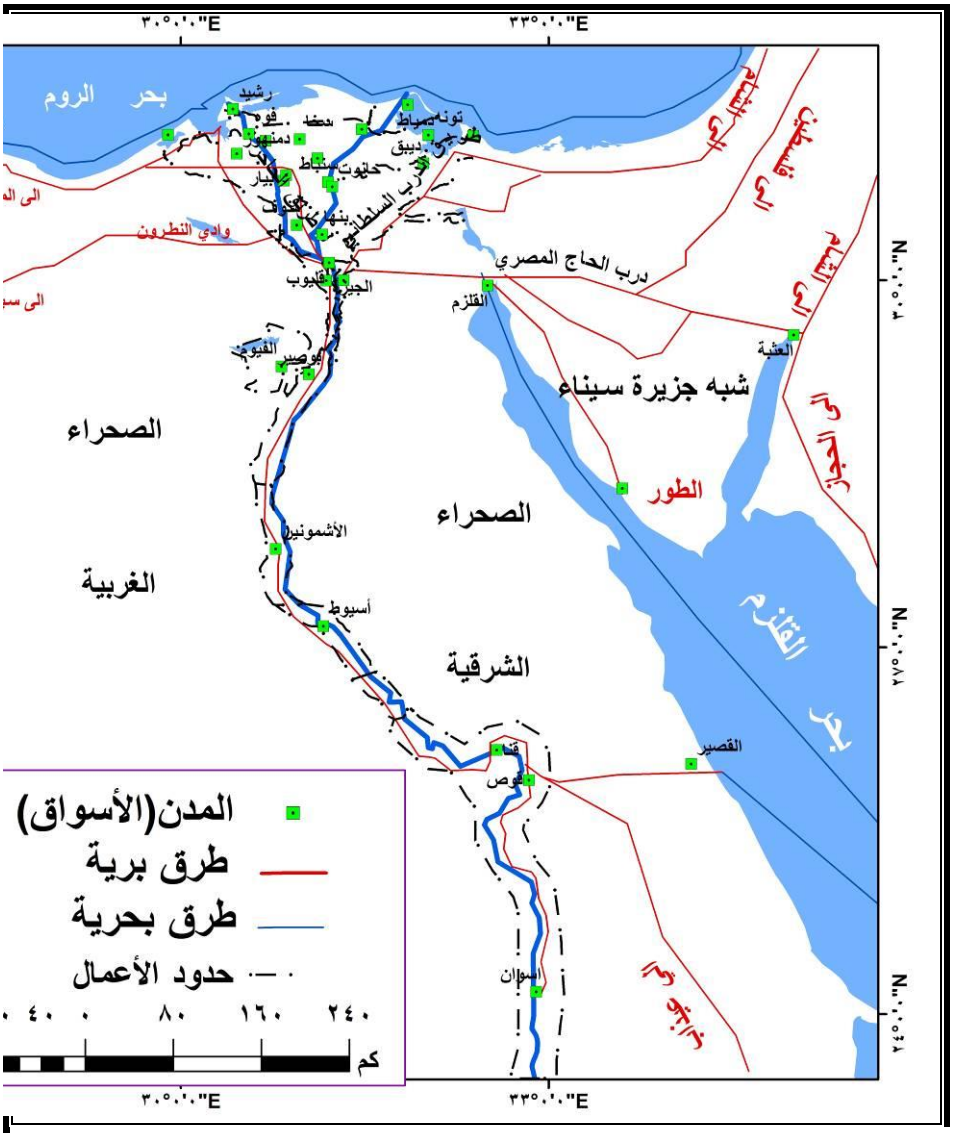

المصدر: من عمل الباحث اعتمادا على: (عبدالعال الشامي، ١٩٩٨م، ص٨)، (عبد الغني زيادة، ٢٠١٧م، ص١٥٨)، (وائل مصطفى ،٢٠٢٢م، ص٤٤٤).

شكل (٢) الطرق الرئيسية بمصر وعلاقتها بمدينة القاهرة في العصر المملوكي

ساعدت عوامل المناخ على وجود الحمامات بمدينة القاهرة، فإذا ارتفعت درجة الحرارة زادت الإفرازات والأوساخ مما دعت الحاجة بالذهاب إلى الحمامات وذلك لتنظيف البدن، كما أن الأجواء الباردة تشعر الناس بالحاجة إلى الحمامات للدفء (ابن الفقيه، ١٨٨٥م، ص٧٤- ٧٥). وكذلك الحال بالنسبة للرياح كرياح الخماسين التي تهب بين مارس ومايو وتكون محملة بالغبار (محمد فريد فتحي، ٢٠٠٠م، ص١٢٩)، ويقدر علماء الحملة الفرنسية متوسط درجة الحرارة بمدينة القاهرة طوال العام بأكثر من ٢٣ درجة مئوية فهي من أكثر بلاد الأرض حرارة، ولهذا تعددت الحمامات في هذه المدينة فبلغت عددا كبيرا؛ تستفيد بها على نحو دائم كل طبقات الشعب من الجنسين (علماء الحملة الفرنسية،١٩٩٢، ج١٠، ص٢١٨).

وتعتبر الحمامات أيضا من المنشآت التي تدر ربحًا منتظما وفيرا ومن ثم فقد حرص أصحاب الثروات على إنشائها ووقفها وقفا أهليا أو خيريا على أغراض البر والتقوى مثل الصرف على المساجد والمدارس وخانقاوات الصوفية، وعلى المستشفيات والأسبلة وكتاتيب تعليم الأيتام فنجد الأوقاف الكبيرة للسلاطين والأمراء بلا استثناء لا تخلو من حمام على الأقل للصرف على منشأتهم الدينية والاجتماعية، مما أعطانا تصورًا كاملًا عن مكوناتها وعناصرها ووظائفها، ومساهمتها في الحياة الاقتصادية(محمد حسام الدين،٢٠١٧م، ص ٤٦٠)، فقد كانت الحمامات من أفضل العقارات التي تقتنى داخل المدن (عبدالعال الشامي ،١٩٧٩م، ص١٦١).

ومما سبق يتضح لنا أنه توجد بعض العوامل الجغرافية التي ساعدت على انتشار الحمامات بمدينة القاهرة في العصر المملوكي: ويأتي في مقدمتها الكثافة السكانية في هذه الفترة، ورواج حركة التجارة بالمدينة حيث انتشار الأسواق بها، كثرة المؤسسات الدينية وإيقاف الحمامات عليها، وبالإضافة لذلك يعد عامل المناخ من العوامل الأساسية التي ساعدت على انتشار الحمامات.

ثانيًا: تخطيط الحمامات بمدينة القاهرة في العصر المملوكي:

شيدت الحمامات على نظام يضمن للمستحم عدم تعرضه للإيذاء بالانتقال السريع من البرد إلى الحر أو العكس (زكي حسن،١٩٦٦م، ص٢٨) فقد كانت تشتمل على عدة بيوت، الأول منها مبرد مرطب والبيت الثاني مسخن مرخ والبيت الثالث مسخن مخفف، وفوق ذلك فالانتقال يكون بينهما تدريجيا (الشيزري، ١٩٤٦م، ٨٦) ، ويقول البغدادي عن حمامات القاهرة "أنه لم يشاهد في البلاد أتقن منها وضعا ولا أتم حكمة ولا أحسن منظرا ومخبرا، ثم وصف الأحواض وسعتها ومقدار ما يصب فيها من ماء بارد وحار، وأما البرك فمن الرخام، وعليها أعمدة وقبة، وسقوفها مزخرفة والأرض من الرخام، وكانت جدرانها تزين بالصور والنقوش الجميلة اعتقادًا أنها تزيد قوى البدن الحيوانية والطبيعية والنفسية ،أما وصف البغدادي لبيت النار فان عليه القدور المصنوعة من الرصاص التي تتصل قرب أعاليها بمجار من أنابيب فيدخل الماء من مجرى البئر إلى فسقية عظيمة ثم منها إلى القدور، ثم إلى مجاري الحمام فلا يزال الماء جاريا وحارا بأيسر كلفة، ويشير إلى أن أرض الأتون (بيت النار) تفرش بنحو خمسين أردبا من الملح – كذلك أرض الأفران – لآن الملح من خصائصه حفظ الحرارة(البغدادي ،ب.ت، ص ٥٤ ،٥٥).

وتصف إحدى الوثائق والحجج الشرعية المعاصرة للحمامات، ومن ذلك ما جاء في إحدى الوثائق أن "الحمامات تشتمل على مسلخ مرخم ، وبيت أول به حوضان ، وبيت حرارة به أربعة أحواض ،وجرن ،وخلوه، ومغطس، مفروش ذلك بالرخام، معقود ومطبق بجامات من الزجاج الملون، وبدهليز الحمام المتوصل إليه من الباب الذي بالواجهة زلاقة موصلة للبير والساقية المعدين لذلك ، وسلم يتوصل منه للرواق به منافع وحقوق مطل على الطريق، ودهليز يتوصل منه لباب الطريق المسلوك المذكورة التي فيها مطل طاقات الرواق المذكور، وبها باب يتوصل منه لمستوقد الحمام وما لذلك من المنافع والمرافق والحقوق.." (سعيد عاشور، ١٩٩٢م، ص١٠٥ – ١٠٦).

وتجدر الإشارة إلى القائمين بالعمل في الحمامات حسب أقسامها المختلفة ففي داخل الحمام يوجد (الناطور[٧] والحمامي [٨] والليوانجي[٩] والقهوجي[١٠] والمزين أو الحلاق[١١]، البلان[١٢])، أما خارج الحمام أو في ملحقاته فيوجد (السواق[١٣]، الزبال[١٤]، الوقاد[١٥]، السقا[١٦]) (محمود درويش، ب.ت، ص١٧٦ –١٧٧)

وكان يتم تزويد الحمامات بالمياه من مصادر متعددة، ويتم أحيانًا إيصالها بمصادر المياه عبر قنوات وسواقي تنشأ لهذا الغرض، أو ربما ينقل الماء على الدواب إذا كان مصدره الآبار (شوكت الأتروشي، ٢٠١٧م، ص ٢٥١).

وتعتبر حمامات القاهرة من أجمل الحمامات وأكثرها راحة وأحسنها تجهيزا، فأرض الحمام مغطاة برخام من جميع الأنواع أما الجدران والسقوف والقباب فإنها مطلية بياض ناصع، ومزينة بزخارف وزهور مختلفة الألوان، ينشر ضوءا هادئا وساحرا، وفي وسط الغرفة الرئيسية تكون الراحة بعد الحمام وتوجد فوارة تنشر طراوة لطيفة وملائمة (علماء الحملة الفرنسية،١٩٩٢، ج١٠، ص٢٢١).

وترجع الحمامات الإسلامية من حيث عادة الإنشاء وطريقة البناء إلى الرومان، وإن كانت الحمامات الرومانية أكثر عظمة وأكبر حجما وأعظم ترفا، فإن العرب لم يراعوا إلا الفائدة العملية في جميع أبنيتهم (توريس بلباس١٩٥٣، ص١٠٨)، وإن كانت الحمامات في عصر المماليك بمصر قد أخذت الكثير من المظاهر الجمالية (عبدالعال الشامي، ١٩٧٨م، ص١٦٢).

ثالثًا: أنواع الحمامات بمدينة القاهرة في العصر المملوكي:

يمكن تقسيم الحمامات بمدينة القاهرة في العصر المملوكي إلى ثلاثة أصناف كما يلي:

١- **الحمامات الخاصة:** واقتصر استخدامها على الخلفاء والسلاطين والأمراء والأثرياء ممن كان لديهم القدرة على تأمين مستلزمات تلك الحمامات لا

سيما فيما يتعلق بالوقود وكذلك الماء الجاري (شوكت الأتروشي، ٢٠١٧م، ص ٢٤٨)، لذلك كانت محدودة العدد اقتصر بنائها في قصور السلاطين وبعض الأثرياء، ولم يكن بمقدور العامة إنشائه، وربما لجأ بعض الميسورين إلى إنشائها رغبة في الانفصال الاجتماعي عن الأماكن التي يرتادها العامة، وكانت تشبه الحمامات العامة إلا أنها كانت أصغر منها بوجه عام (عبدالعال الشامي ،١٩٧٩م، ص١٦١).

٢- **الحمامات العامة:** وكان يرتادها عامة الناس، وتبنى في الأسواق والحارات (ابن عبد الظاهر، ١٩٩٦م، ص١٠١ - ١٠٤)، ويمكن تقسيم الحمامات العامة في القاهرة لثلاث أنواع؛ **الأول:** خاص بالنساء مثل حمام الساباط: ويعرف في فتره الدراسة بحمام المارستان المنصوري، و**الثاني** يستخدمه الرجال والنساء، مثل حمام خوند حيث يدخله عامة الرجال في أول النهار ثم تعقبهم النساء، **والثالث:** لكلا الجنسين في بنايتين منفصلتين كحمامي السيدة العمة في حارة الروم، وكانت إحداهما برسم الرجال، والأخرى برسم النساء. (المقريزي، ١٩٩٨م، ج٢، ص ٥٣٦- ٥٥٦).

٣- **الحمامات الوقفية:** أنشأها السلاطين والأمراء والأثرياء الأيوبيون ووقفوها على فئة من الناس وظلت حتى العصر المملوكي، مثل حمام الصوفية الذي أنشأه صلاح الدين الأيوبي سنه ١٢٧٠م بجوار الخانقاه الصلاحية وظل حتى العصر المملوكي ولا يدخله يهودي أو نصراني، وحمام السلطان وحمام الخشيبة (المقريزي، ١٩٩٨م، ج٢، ص ٥٣٦- ٥٥٦).

٤- **حمامات أهل الذمة:** كان لأهل الذمة من اليهود والنصارى حماماتهم الخاصة بهم مثل حمام بن أبي الدم فيما بين سويقة المسعودي وباب الخوخة (المقريزي، ١٩٩٨م، ج٢، ص ٥٣٩).

رابعا حمامات مدينة القاهرة في العصر المملوكي.

انتشرت في مصر خلال العصر المملوكي الكثير من الحمامات، وزخرت المدن المصرية الكبرى كالقاهرة بأسواقها الممتدة ومنشأتها العمرانية

وحماماتها العامرة التي كانت محل عناية المماليك باعتبارها كانت تمثل مظهرا عمرانيا وحضاريا لا يمكن الاستغناء عنه في المجتمع الإسلامي لارتباطه بالحياة الاجتماعية والدينية والصحية، وترافق بنائها مع تشييد المدن، وكثيرا ما كانت تلحق بالمرافق والمؤسسات الدينية والتعليمية والصحية (شوكت الأتروشي، ٢٠١٧م، ص ٢٤٥).

وقد وضع الدمشقي لأفضلها مواصفات منها، أن تتوسط المدينة وأن تكون مصارف الماء فيها واسعة مستقلة ليؤمن عليها من الاختناق، وأن بيوتها متوسطة مكتنزة ليعمل فيها الوقود، وأن يكون مخلعها وقمينها واسعين ليمكن إدخال الكثير من الوقود لها، وإن كان ماؤها بدولاب وما قل عمق بئرها فهي أفضل، وإن كان ماؤها جاريا فما قرب من جهة الماء ومعظمه (الدمشقي، ١٣١٨هـ، ص٣٥).

وأشار المقريزي[١٧] في القرنين (١٤ ، ١٥) إلى سبعة وأربعين حماما بالقاهرة أنشئت بعضها خلال عصر المماليك وبعضها في فترة سبقت العصر المملوكي، واقترن بعضها بأسماء مماليك وأمراء ووزراء (المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٣٦-٥٥٦)، كما جاءت قائمة بوتي-(Edmond, Pauty, 1933,p1 62) والتي يذكر بها الحمامات التي كانت توجد بالقاهرة عام ١٩٣٣م وكذلك التي أوردها ريمون عن الحمامات العامة بمدينة القاهرة في نهاية القرن الثامن عشر (André Raymond, 1969, p129 - 150) ، كما ذكرها أيضا على باشا مبارك بالخطط (على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٥-٧١) ومما سبق يمكن حصر حمامات مدينة القاهرة في فترة العصر المملوكي وحالاتها من حيث إنها مازالت باقٍة أم اندثرت أم خربت في فترة العصر المملوكي نفسة، وتلك التي خربت لم تذكر عند ريموند أو بوتي أو على مبارك إلا أنها ذكرت عند المقريزي فقط وقد قال عنها إنها خربت وهو ما يوضحه **الجدول(١) والشكل (٣) ومنهما تتضح عدة حقائق:**

- بلغ عدد الحمامات التي تم حصرها من المصادر المختلفة في العصر المملوكي (٤٢) حماما، كان عدد الحمامات التي لا زالت باقٍة منها (٥) حمامات مدون بالمجلس الأعلى للآثار منها أربعة حمامات (المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٠)، بينما بلغ عدد الحمامات المندثرة (١٢) حماما، وتلك التي ذكرت عند كلا من بوتي واندريه ريموند ولم تذكر في قائمة المجلس الأعلى للآثار، وكان عدد الحمامات التي خربت حوالي (٢٠) حماما وتلك التي ذكرها المقريزي بأنها خربت في أيامه، ويدل هذا الأمر على الإهمال الشديد التي تعرضت لها الحمامات خلال الفترة الحديثة من عام ١٨٠٠م، حيث كانت حمامات (الدود والساباط وحمام الصوفية وحمام الحسينية والخشيبة وسويد والقفاصين) موجودة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ذكرت جميعها في موسوعة وصف مصر وكذلك عند ريموند وبوتي، ولكنها اندثرت في الفترة الأخيرة.
- توجد حمامات باقٍة من العصر المملوكي ومع هذا لم تُثبت بسجلات وزارة الآثار مثل حمام شيخو وإنما ذكرت تحت اسم خانقاه[١٨] الأمير شيخو وذكر على مبارك أن الأمير شيخو هو من قام ببناء هذا الحمام، وذكره بوتي أيضا، وذكر عند المقريزي باسم **الصليبة**، وتم إنشاؤه عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م.

جدول (١) حمامات مدينة القاهرة في العصر المملوكي وحالتها

مسلسل	الحمام	الموقع	حالته	المصادر
١	**البيسري**	من الحمامات القديمة التى أنشأها الأمير بيسري النجمي[١٩] وتشير الوثائق أن موقعة كان في بداية سوق السمك بمدينة القاهرة.	**اندثر**	**-على مبارك، ١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٦.** **-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٣٩.** **-André Raymond, 1969, p133.**
٢	**بشتاك**	يقع "حمام بشتاك" بشارع سوق السلاح بحي الدرب الأحمر، أنشأه	**باق**	**-على مبارك، ١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٦.**

		الأمير "سيف الدين بشتاك الناصر" في العصر المملوكي عام ٧٤٢هـ ـ ١٣٤١م، وهو خاص بالسيدات والرجال، ولا تزال بوابته موجودة حتى الآن.		**André Raymond, 1969, p133.** **Edmond, Pauty, 1933, p58.** **-المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٠، ص٨٥.**
٣	**الدود**	عرف باسم الأمير سيف الدين الدود الجاشنكيري وتم إنشاؤه عام ١٢٦٩م، ويقع هذا الحمام خارج باب زويلة، بينما لم يتم ذكره في دليل الآثار المملوكية عام ٢٠٠٠م.	**اندثر**	**-على مبارك، ١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٨.** **-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٥٤.** **-André Raymond, 1969, p133.** **-Edmond, Pauty, 1933, p58.**
٤	**الصاحب**	ذكر عند المقريزي بهذا الاسم، نسبة إلى سويقة الصاحب، ويرى على باشا مبارك أنه تم تغيير اسمه إلى "الحمام الجديد" وأيضا أطلق عليه حمام التلات.	**اندثر**	**-على مبارك، ١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٦.** **-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٨.** **-André Raymond, 1969, p133.** **-Edmond, Pauty, 1933, p58.**
٥	**الجويني**	ذكره على مبارك باسم حمام الجبالة ويرى أنه هو نفسه الذي ذكره المقريزي نسبة إلى الأمير إبراهيم بن محمد بن الجويني وأصبح وقفا على مرسة الملك الظاهر برقوق بخط بين القصرين.	**اندثر**	**-على مبارك، ١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٦.** **-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٥٠.** **-André Raymond, 1969, p134.** **-Edmond, Pauty, 1933, p55-56.**
٦	**الغورية**	تشير المصادر أن هذا الحمام أنشئ في عهد السلطان الغوري وأطلق عليه أولا اسم حمام العرائس.	**اندثر**	**-على مبارك، ١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٦.** **-André Raymond, 1969, p134.**
٧	**الخراطين**	أنشأه الأمير نور الدين أبو الحسن ابن طلائع وعرفت أيضا بحمام ابن طلائع، ويذكره بوتي بحمام	**اندثر**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٩.** **-على مبارك، ١٣٠٥هـ، ج٦**

		الصناديقية ويقع بسوق الفرايين وأصبح في العصر المملوكي موقوفا على مدرسة الأمير جمال الدين استادار.		ص٦٦ -André Raymond, 1969, p134. -Edmond, Pauty, 1933, p51.
٨	الحسينية	لم يرد ذكر هذا الحمام عند المقريزي الا أنه ذكره ابن اياس في القرن ١٥ باسم حمام الحبالين وذكره بوتي باسم حمام البشري، بينما لم يتم ذكره في دليل الآثار المملوكية بالقاهرة عام ٢٠٠٠م.	اندثر	-ابن اياس، ب. ت، ج٥، ص١٥. -على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٦. -Edmond, Pauty, 1933, p51. -André Raymond, 1969, p134.
٩	الحصرية	وعرف أيضا بحمام الحصري وأيضا باب الحصر وبني هذا الحمام خوشقدم الأحمدي في القرن الرابع عشر الميلادي.	اندثر	-على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٧. -Edmond, Pauty, 1933, p61. -André Raymond, 1969, p135.
١٠	الخشيبة	ذكره المقريزي بهذا الاسم وكان وقفا، وذكره على مبارك باسم المقاصيص، حيث يقع عند مدخل شارع المقاصيص، بينما لم يتم ذكره في دليل الآثار المملوكية عام ٢٠٠٠م.	اندثر	-على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٧٠. -Edmond, Pauty, 1933, p53. -André Raymond, 1969, p135.
١١	سويد	ذكره المقريزي بهذا الاسم، وأطلق عليه بوتي بحمام الملاطيلي، الا أنه يطلق عليه مرجوش نسبة إلى السوق الذي يقع فيه، وفي بعض الحجج يسمى هذا الحمام باسم أقرب إلى الصواب وهو أمير الجيوش، بينما لم يتم ذكره في دليل الآثار المملوكية عام ٢٠٠٠م.	اندثر	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٧. -على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٧٠. -Edmond, Pauty, 1933, p51. -André Raymond, 1969, p135.
١٢	القفاصين	ذكره المقريزي بهذا الاسم وهو ما يؤكده على باشا مبارك بأنه يطلق عليه حمام **المصبغة** وكذلك عند	اندثر	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٥١. -على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦

		بوتي وريموند، ويقع بالقرب من رأس حارة الديلم، بينما لم يتم ذكره في دليل الآثار المملوكية عام ٢٠٠٠م.		ص٧٠. -Edmond, Pauty, 1933, p56 -André Raymond, 1969, p135
١٣	المؤيد	وهو حمام للرجال والسيدات وشيده السلطان المؤيد بعد أن انتهى من بناء مسجد ه، وتم بناؤه في عام ٨٢٣هـ /١٤٢٠م.	باق	-على مبارك، ١٣٠٥هـ، ج٦ ص٧١ -Edmond, Pauty, 1933, p56. -André Raymond, 1969, p135. -زكي حسن، ١٩٦٦، ص١٨٩. -المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٠، ص ١١٧
١٤	الساباط	ويشير اليه على مبارك باسم حمام قلاوون ويورده بوتي باسم حمام **قلاوون** المسمى باسم حمام **النحاسين** وهو كما يذكر على مبارك نفس حمام الساباط الذي ذكره المقريزي، ويقع عند القصر الصغير ويعرف أيضا بحمام المارستان المنصوري، بينما لم يتم ذكره في دليل الآثار المملوكية عام ٢٠٠٠م.	اندثر	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٣٧. -على مبارك، ١٣٠٥هـ، ج٦ ص٧٠. -Edmond, Pauty, 1933, p53. -André Raymond, 1969, p136.
١٥	قتال السباع	يذكر على باشا مبارك بأن هذا الحمام يطلق عليه قيسون، ويسمى بحمام قوصون والسروجية والجارية وهو نفسه حمام قتال السباع الذي ذكره المقريزي ويقع بالقرب من مسجد قوصون وكان نسبة إلى الأمير جمال الدين أقوش المنصوري المعروف بقتال السبع الموصلي.	اندثر	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٥٥. -على مبارك، ١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٨. -Edmond, Pauty, 1933, p57. -André Raymond, 1969, p136.
١٦	أبن عبود	يطلق عليه على مبارك حمام السبع قاعات ويقال إنه يقع في	اندثر	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤١.

		بداية حارة اليهود، وذكره المقريزي بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ نجم الدين أبو الحسين بن عبود		-على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٨. -André Raymond, 1969, p137.
١٧	شيخو	وذكر على مبارك أن الأمير شيخو هو من قام ببنائه عام ١٣٥٥م، وذكره بوتي أيضا، وذكر عند المقريزي باسم **الصليبة**، وتم انشاءه عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م.	باق	-على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٨ -André Raymond, 1969, p137. -Edmond, Pauty, 1933, p54.
١٨	الشرايبي	ذكر على مبارك أنَّ هذا الحمام قد أنشئ عام٩٠٦هـ/ ١٥٠١م على يد السلطان الغوري، ثم انتقلت ملكيته إلى محمد داده الشرايبي.	باق	-على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٨. -André Raymond, 1969, p137. -Edmond, Pauty, 1933, p 60. -المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٠، ص١٥٩.
١٩	الصوافة	ذكره بوتي باسم حمام السعادة ويشير علي مبارك بأن هذا الحمام هو نفسه حمام الصوفية الذي ذكره المقريزي وذكر أيضا بأن هذا الحمام كان لا يدخله يهودي ولا نصراني، بينما لم يتم ذكره في دليل الآثار عام ٢٠٠٠م.	اندثر	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٥٤. -على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٨. -André Raymond, 1969, p137. -Edmond, Pauty, 1933, p 52.
٢٠	أينال	يعود تاريخه إلى ١٤٥٦م ويعرف باسم حمام السلطان الكبير عند المقريزي، وأنشأه السلطان اينال بن عبد الله العلائي الظاهري الأجرود، وتم بناءه عام ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م.	باق	-André Raymond, 1969, p138 -زكي حسن، ١٩٦٦، ص١٩٠ -المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٠، ص١٣٣.
٢١	سنقر	ذكره المقريزي باسم سنقر الأعسر وكان أحد المماليك أيام الملك المنصور قلاوون.	اندثر	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٥١. -André Raymond,1969, p138 -Edmond, Pauty, 1933, p 57

٢٢	**يزبك**	يذكر على مبارك بأنه حمام العتبة الخضراء والذي شيده الأمير أزبك الذي بنى بالقرب منه مسجدا.	**اندثر**	**-على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٧٠.** **-André Raymond, 1969, p138.**
٢٣	**السيدة العمة**	وهما حمامان أحدهما للنساء واخر للرجال وكانا في أول حارة الروم، وكان يطلق عليهما زمن المقريزي بحمامي الكافي.	**خربت**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٣٦.**
٢٤	**لؤلؤ**	برأس رحبة الأيد مري ملاصقة لدار السناني من القاهرة أنشأها الأمير حسام الدين لؤلؤ الحاجب، ولم تذكر في قائمة بوتي أو ريمون.	**خربت**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٥٦.**
٢٥	**الصنيمة**	بالقرب من خزانة البنود، على يسرة من سلك في رحبة باب العيد إلى قصر الشوك	**خربت**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٣٨.** **-**
٢٦	**تتر**	بخط دار الوزارة الكبرى في الدار المجاورة للمدرسة النابلسية.	**خربت**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٣٨.**
٢٧	**الحصينية**	كانت في سويقة الصاحب من داخل درب الحصينية الذي يعرف في زمن المقريزي بدرب ابن عرب.	**خربت**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٠.**
٢٨	**الذهب**	كانت بدار الذهب أحد مناظر الخلفاء الفاطميين	**خربت**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٠.**
٢٩	**ابن قرقة**	بخط سويقة المسعودي من حارة زويلة، أنشأها أبوسعيد بن قرقة الحكيم إلا أنها خربت وحل محلها فندق عرف باسم عمار الحمامي بجوار جامع ابن المغربي من جانبه الغربي.	**خربت**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٠.**
٣٠	**خوند**	كان حماما يدخله عامة الرجال في أول النهار ثم تعقبهم النساء من بعد، إلى أن هدمها الأمير صلاح الدين محمد استادار.	**خربت**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤١.**

٣١	عجينة	كانت ملك أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري مما أوقف عليهم، ثم خربت سنة ٧٤٠هـ.	خربت	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٣.
٣٢	دري	كانت بخط الأكفانيين، عرفت بشهاب الدولة دري الصغير غلام المظفر بن أمير الجيوش.	خربت	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٤.
٣٣	الرصاصي	كانت بحارة الديلم، أنشأها الأمير سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء المرواني، وأوقفها على أولاده وذريته، وفي العصر المملوكي عرفت بالأمير عز الدين أيبك الرصاصي، وخربت سنة ٧٤٠هـ.	خربت	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٤.
٣٤	الجيوشي	كانت موجودة حتى سنة ٧٩٤هـ، ولكنها حرقت وخربت وكانت ملك للقاضي أبو الفداء تاج الدين إسماعيل ابن أحمد ابن الخطباء.	خربت	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٤-٥٤٥.
٣٥	الرومي	بجوار حارة برجوان عرفت بالأمير سنقر الرومي الصالحي أحد الأمراء أيام الملك الظاهر بيبرس.	خربت	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٦.
٣٦	طغلك	بجوار درب المنصوري من خط حارة الصالحية وكانت معدة لدخول الرجال إلا أنها خربت سنة ٨٠٠هـ.	خربت	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٧.
٣٧	ابن علكان	كانت بحارة الجودرية أنشأها الأمير شجاع الدين عثمان بن علكان، خربت سنة ٧٤٠هـ.	خربت	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٧.
٣٨	التطمش خان	أنشأته التطمش خان زوجة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بجوار المدرسة الظاهرية بخط بين القصرين، ثم خربت.	خربت	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٨.
٣٩	القاضي	كانت تابعة لاحد وزراء الدولة الفاطمية وظلت موجودة حتى	خربت	-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٤٩.

		العصر المملوكي حيث انتقلت إلى ملك القاضي رضي الدين بن عبد الناصر بن تقي الدين.		
٤٠	**الكويك**	فيما بين حارة زويلة ودرب شمس الدولة أنشأها الأمير عباس أحد وزراء الدولة الفاطمية وظلت موجودة حتى العصر المملوكي.	**خربت**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٥٠.**
٤١	**الصغيرة**	أنشأها الأمير فخر الدين بن رسول التركماني وتعطلت بعد عام ٨٠٦هـ.	**خربت**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٥١.**
٤٢	**بهادر**	موضعها من جملة القصر أنشأها الأمير بهادر استادار الملك الظاهر برقوق وقد تعطلت.	**خربت**	**-المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٥٤.**

المصدر: من عمل الباحث اعتمادا على ما جاء بالمصادر.

- تتركز الحمامات بمدينة القاهرة في العصر المملوكي في المناطق الشمالية والشرقية، ويرجع السبب في ذلك إلى عدة أمور أهمها، أن المنطقة الشمالية تتمثل في **منطقة القصابة** وهي الشريان التجاري الكبير الذي يمتد مخترقا المدينة الفاطمية ابتداءً من باب زويلة حتى باب الفتوح وكانت أكثر مناطق المدينة نشاطا في المجال الاقتصادي فضلا عن الكثافة السكانية المرتفعة، بينما المنطقة الثانية تتمثل في **ضواحي القلعة**، حيث مقر العسكريين والفرق العسكرية كما توجد بعض الأسواق الكبرى مثل سوق السلاح وسوق الرميلة(André Raymond, 1969, p131) .
- بينما تكاد تكون المناطق الغربية والجنوبية محرومة من الحمامات، وقد يرجع ذلك إلى تطرف هذه المناطق عن قلب المدينة كما أنه يسكن بها عادة أناس فقراء، ويبدو أن التردد على الحمامات العامة كان ملمحا من تقاليد الطبقات الوسطى في حين كان للأغنياء حماماتهم الخاصة (André Raymond, 1969, p131، (عبدالعال الشامي ،١٩٧٩م، ص١٦١).
-

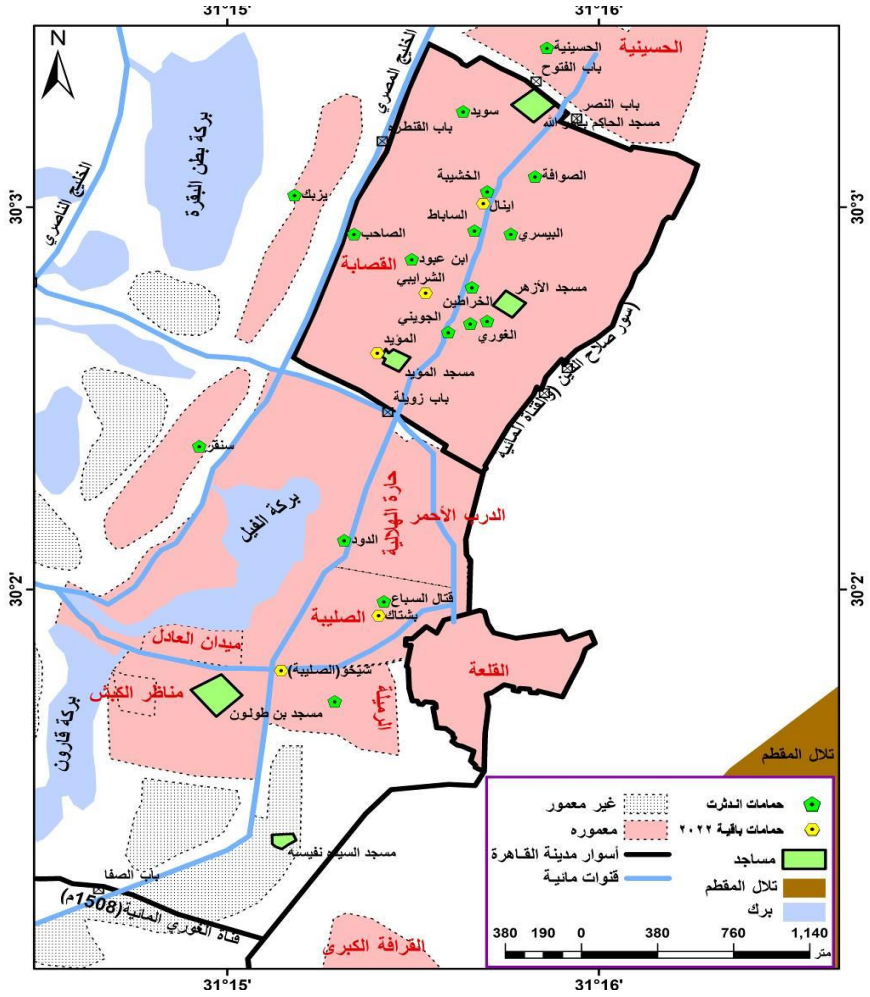

المصدر: من عمل الباحث اعتمادا على:

- المقريزي، ١٩٩٨م، ح٢، ص ٥٣٦-٥٥٦. (في ترقيم الحمامات)
- Dina Ghaly,2004, p250. (في ترقيم مناطق العمران والبرك والقنوات المائية وتلال المقطم)
- Edmond, Pauty, 1933, p1-62. (في ترقيم الحمامات)
- André Raymond, 1969, p129 – 150. (في ترقيم الحمامات)
- على مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٥-٧١(في ترقيم الحمامات)
- برنامج Google Earth (ترقيم أسوار القاهرة وقناة الغوري والقلعة والمساجد).

شكل (٣) الحمامات المملوكية في مدينة القاهرة (٦٤٨ – ٩٢٣هـ /١٢٥٠ – ١٥١٧م)

– ونجد في بعض الأحيان ارتباط موقع الحمامات بالمساجد وتعتبر مكملة لها حيث تتم فيها عملية الوضوء والاغتسال مثل جامع المؤيد وحمام المؤيد، كما في خانقاة شيخو وجامع وحمام شيخو(رولي رفعت أبوخاطر ، ٢٠١٤م، ص٦٩)

خامسا: التجديد الحضري للحمامات الباقة في مدينة القاهرة في العصر المملوكي:

حظيت العمارة السكنية بمدينة القاهرة منذ بداية العصر المملوكي بتطورات كبيرة ملحوظة، وقد حظيت مصر برخاء اقتصادي وقوة سياسية وازدهار فني ولا سيما في مجال العمارة، وتطورت نظم العمارة والبناء وبلغت درجة عالية من النضج والإتقان، ومما ساعد على ازدهار فن العمارة تنافس أمراء المماليك على تشيد المنشآت الدينية والمدنية المختلفة (غزوان ياغي، ٢٠٢١م، ص٢).

بلغ عدد الحمامات الباقِية من حمامات العصر المملوكي حتى عام ٢٠٢٢م خمس حمامات وهي (بشتاك، المؤيد، وأينال، الشرايبي، شيخو) بينما اندثرت باقِ الحمامات، بالرغم من أهميتها في الحياة الاجتماعية والدينية خلال الفترات الإسلامية المختلفة، وسيتم الوقوف على حالة كلا منهما بغرض إعادة التجديد الحضري لها.

وقد سبق الحديث عن مكونات الحمامات؛ تتكون معماريا في معظم الأحوال من ثلاثة أجزاء رئيسية هي المسلخ والبيت الأول وبيت الحرارة أو البيت الثاني(المستوقد) ، فنجد للحمام واجهة رئيسية على الشارع الرئيسي بها باب منكسر يؤدي إلى الداخل، وباب يؤدي إلى المساكن التي تعلوه إن وجد، وأخر يؤدي إلى المستوقد المعد للتسخين وبئر المياه ويعلوه الساقية وغير ذلك من الملحقات ، ويؤدي باب الحمام إلى ممر يدخل منه إلى مسلخ وهو المكان الذي ينسلخ فيه الإنسان من ملابسه– ويتكون هذا المسلخ في الغالب من قاعة قد تتوسطها فسقية تدر المياه الباردة، يحيط بها أربعة أواوين، بها في كثير من

الأحيان حجرات لاستراحة ميسوري الناس، أما الطبقات الدنيا فكانت تستخدم الأواوين للاستراحة، ويسقف المسلخ من الخشب وتتوسطه شخشيخة لتجديد هواء المكان، حيث يكون هذا المكان في درجة حرارة عادية ليستقبل المستحم عند قدومه لخلع ملابسه وتسليم أماناته من ملابس ونقود، ويستلم الفوط _الأزر_ لتغطية جسده أثناء الاستحمام، ثم بعد خروج المستحم من البيت الأول ليرتدي ملابسه ويأخذ قسطًا من الراحة ويخرج إلى خارج الحمام (محمد حسام الدين،٢٠١٧م، ص ٤٦١).

وسقوف البيت الأول والثاني كلها عبارة عن أقبية وقباب يتخللها فتحات مستديرة وعلى أشكال نجوم وأشكال هندسية أخرى، مغطاة بشرائح الزجاج الملون على شكل قباب أيضا، وتسمى مضاوي للإضاءة مع حفظ الحرارة وتكثيف البخار داخل المبنى صورة (١)، ويلاحظ أن كل أرضيات الحمامات كانت مكسوة بالرخام المزخرف بطريقة الفسيفساء.

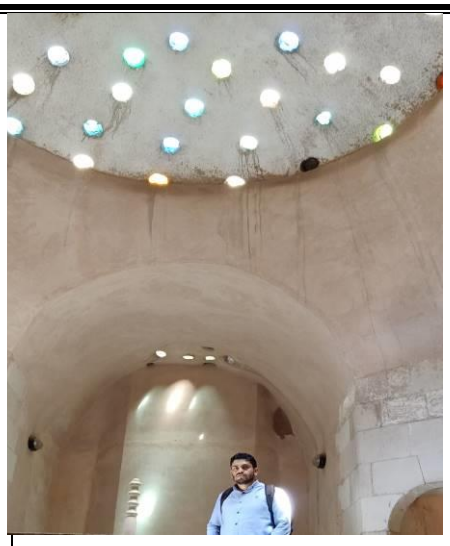

حمام أينال

حمام شيخو

المصدر: الدراسة الميدانية ٢٧ – ٢٩ أغسطس ٢٠٢٢

صوره (١) المضاوي بحمامات القاهرة المملوكية

أما المستوقد وهو ما كان يطلق عليه في وثائق العصرين المملوكي والعثماني بالدبكونية، فهو عبارة عن مبنى مقسم بالطول إلى ثلاثة أقسام، الأعلى وبه أربعة دسوت أو قدور من الرصاص للماء، متدرجة الحرارة من الباردة إلى الأخير حيث درجة الغليان وتخرج منه المياه إلى أجزاء بيت الحرارة ، والأوسط ويسمى بالجورة وتوضع به القمامة وتوقد لتسخين المياه في الأعلى، وفي وسط الجورة فتحة تسد طيلة فترة الإيقاد حتى تسخن المياه، ثم تفتح لينزل الرماد الساخن إلى الجزء الأسفل وكانت توجد به قدور الفول لتسويتها أيضا، وكان يؤخذ الرماد الناتج بعد انطفائه لاستخدامه في أغراض البناء قبل اكتشاف الأسمنت، وغالبا ما كان يلحق بالحمام بئر لإمداده بالمياه وذلك بحمامات القاهرة في العصر المملوكي(محمد سيف النصر أبو الفتوح، ١٩٩٩م، ص٨٨-٩٢).

ومن خلال الدراسة الميدانية في شهر أغسطس ٢٠٢٢م وبيانات الجدول (٢) والشكل (٤، ٥) واللذان يوضحان حمامات القاهرة المتبقية من العصر المملوكي ومنهما يتضح عدة حقائق:

- جميع حمامات العصر المملوكي الباقِية في مدينة القاهرة مغلقة (ماعدا حمام أينال) وتحتاج إلى تجديد وترميم وإعادة وضعها على خريطة الآثار المصرية، وذلك لأهميتها الكبيرة خلال العصور التاريخية لا سيما المملوكي والعثماني.
- الاهتمام الكبير لحمام أينال على حساب الحمامات الباقِية الأخرى (صورة ٢) وقد يكون سبب هذا هو وقوع الحمام في شارع المعز لدين الله، حيث الرواج السياحي الكبير بقلب مدينة القاهرة على الرغم من أن الحمامات الأخرى أكبر مساحة منه.
- اشتهرت الحمامات في العصر المملوكي بجمال مبانيها، واستخدم الرخام الملون في بنائها من الخارج والداخل وتكسيه أرضيتها وامتلائها بالأحواض ذات الأحجام المختلفة المملؤة بالمياه الباردة والساخنة والتي تصل إلى هذه

الأحواض عن طريق أقصاب[٢٠] (ابراهيم عامر، ٢٠٠٧م، ص٢٣)، وهو ما لم يوجد بحمامات مصر الباقِة من العصر المملوكي.

جدول (٢) حمامات العصر المملوكي الباقة في مدينة القاهرة ٢٠٢٢م

الحمام	رقم الآثر	تاريخ الإنشاء	اسم المنشئ	حالته	المنطقة الإدارية	المنطقة الآثرية	العنوان
بشتاك	٢٤٤	٧٤٥هـ/ ١٣٤١م	**الأمير سيف الدين بشتاك الناصري.**	قائم ومغلق	الدرب الأحمر	جنوب القاهرة	**سويقة العزي – شارع سوق السلاح.**
المؤيد	٤١٠	٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م	**السلطان المؤيد شيخ المحمودي.**	قائم ومغلق	الدرب الأحمر	جنوب القاهرة	**شارع المعز لدين الله – بجوار باب زويلة.**
أينال	٥٦٢	٦٨١هـ/ ١٤٥٦م	**السلطان أينال بن عبد الله العلائي الظاهري الأجرود.**	قائم ومفتوح	الجمالية	شمال القاهرة	**شارع المعز لدين الله بجوار المدرسة الكاملية.**
الشرايبي	بدون رقم	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	**محمد داده الشرايبي.**	قائم ومغلق	الدرب الأحمر	شمال القاهرة	**حارة الشرايبي خلف مدرسة الغوري.**
شيخو	غير مسجل	٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م	**الأمير سيف الدين شيخو العمري الناصري.**	قائم ومغلق	الخليفة	جنوب القاهرة	**شارع شيخون ميدان صلاح الدين.**

المصدر: من عمل الباحث اعتمادا على:

- **الدراسة الميدانية أغسطس ٢٠٢٢م.**
- **المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٠م، ص ٨٥، ٩٣، ١١٧، ١٣٣، ١٥٩.**

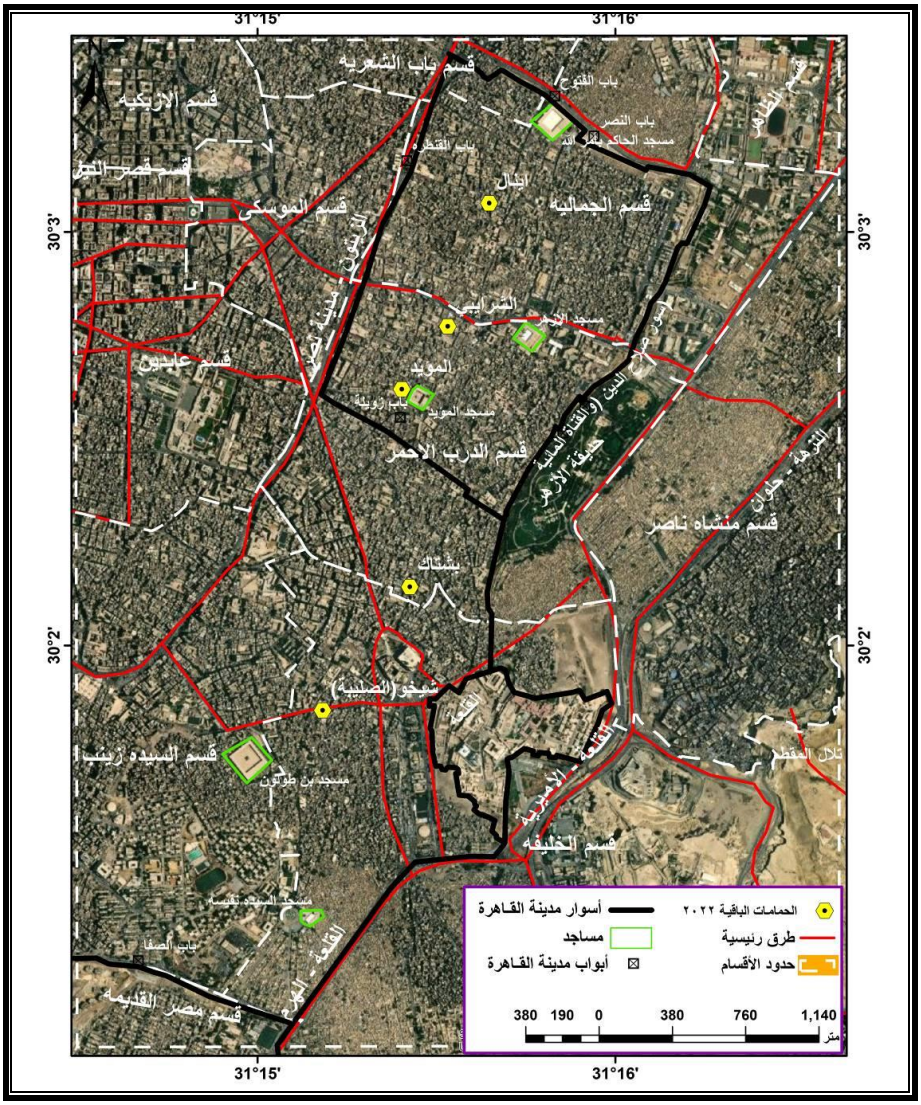

المصدر: من عمل الباحث اعتمادا على:

- برنامج Google Earth Pro 2022.
- الدراسة الميدانية في الفترة من ٢٧– ٢٩ أغسطس ٢٠٢٢م.
- أطلس مصر الطبوغرافي بمقياس ١: ٥٠٠٠٠ (في ترقيم شبكة الطرق بالمنطقة)
- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، التقسيم الإداري، الخريطة الرقمية٢٠٢٠م.

شكل (٤) الحمامات المملوكية الباقة في مدينة القاهرة ٢٠٢٢م

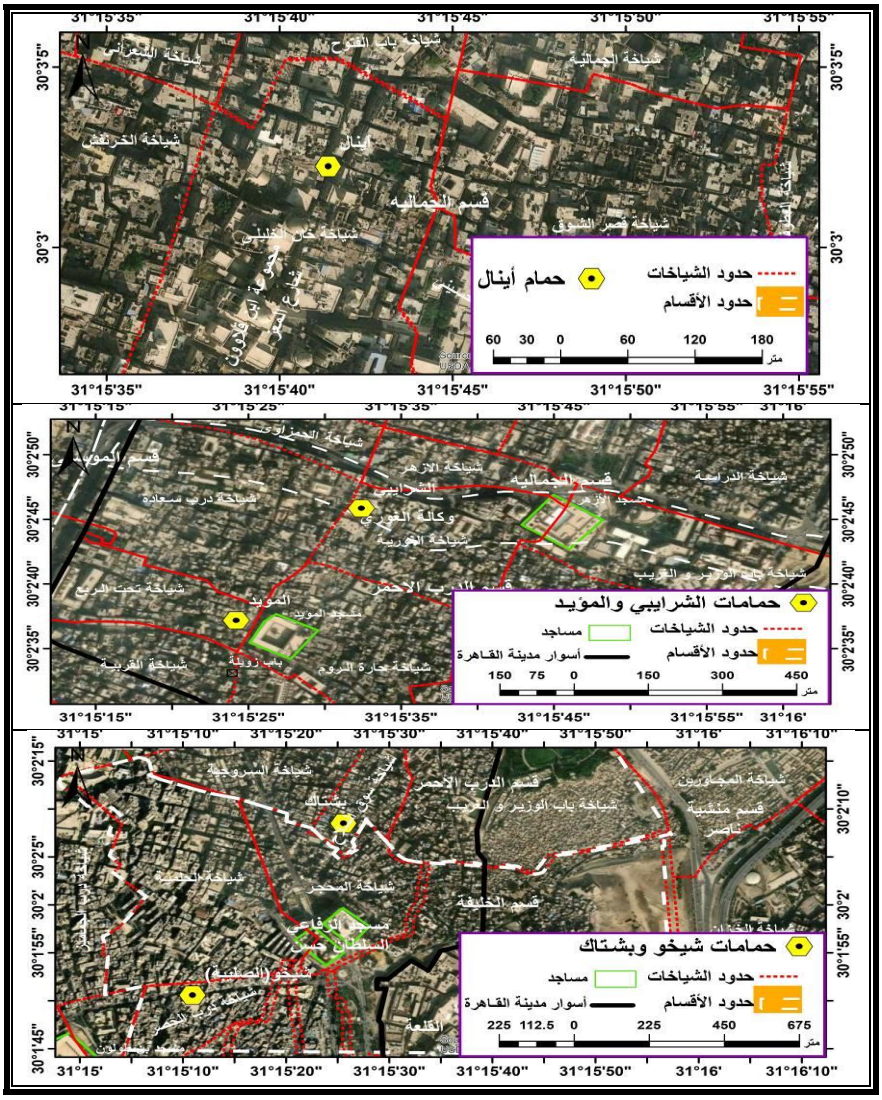

المصدر: من عمل الباحث اعتمادا على:

- برنامج Google Earth Pro 2022.
- الدراسة الميدانية في الفترة من ٢٧– ٢٩ أغسطس ٢٠٢٢م.
- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، التقسيم الإداري، الخريطة الرقمية٢٠٢٠م.

شكل (٥) الموقع الجغرافي والفلكي للحمامات المملوكية الباقة في مدينة القاهرة ٢٠٢٢م

- تشترك حمامات العصر المملوكي في المدخل الضيق المنكسر والذي يوصل لغرفة المسلخ ومن ثم الدخول إلى غرف التدفئة عن طريق ممرات ضيقة مليئة بالبخار ثم إلى غرفة المغطس والغرف الساخنة ويتم الخروج بنفس ترتيب الغرف.
- يوفر القانون المصري الحالي أعلى مستويات الحماية على الآثار بما في ذلك الحمّامات الأثرية، وهو قانون حماية الآثار المصري الصادر عام ١٩٨٣ ،ويستند هذا القانون على سلسلة من القوانين التي سبق إصدارها منذ عام ١٩١٢ مع الإضافة والتعديل الذين مسّا القليل من بنوده وأبوابه، وخاصة تلك التي تحدد عقوبات سرقة وتهريب الآثار، أو تلك التي تحدد المعايير التي يجب أن تتوفر في المباني أو المقتنيات لتسجيلها بوصفها آثارًا، أما البنود التي تحدد مستويات التدخل والحفاظ أو الصيانة التي يلزمها القانون على الآثار المسجلة فهي غائبة، ولم تدرج إلى يومنا هذا في طياته، وهو الأمر الذي يتيح تدخل الأهواء الشخصية، من خلال قرارات مسؤولي ولجان الآثار، لتحديد وضع الأثر الذي يلزم أن يحافظ عليه وأمّا عن معايير تسجيل الآثار فيحددها القانون بالحد الأدنى من العمر، إذ يبلغ مائة عام، هذا بالإضافة إلى توافر القيم الفنية والتاريخية [٢١].
- بالنسبة لحمام **أينال** يعد أكثر الحمامات شهرة وأفضلها بناء حيث تدخلت شركة المقاولون العرب في عام٢٠٠٢ م بترميمه وتجديده، وعلى الرغم من ذلك يواجه الحمام بعض الأخطار من الداخل؛ فجميع الغرف تعاني من الرطوبة العالية والتي تعمل على تآكل الجدران وتستدعي التدخل السريع لترميمها باعتباره من أهم الحمامات وأكثرها زيارة لدي السياح بهذه المنطقة، كما يستخدم المستوقد كمقلب نفايات للعمائر المحيطة بالمكان، وكذلك تم تغيير أرضيات الحمام والتي كانت عبارة عن رخام بسيراميك عادي (صورة ٢).

المصدر: الدراسة الميدانية ٢٧ – ٢٩ أغسطس ٢٠٢٢

صوره (٢) المشاكل التي تواجه التجديد الحضري لحمام أينال٢٠٢٢م

- أما حمام **الشرايبي** فهو أكبر حمامات العصر المملوكي بمدينة القاهرة وكان يعمل الحمام لفترة قريبة (الدراسة الميدانية) وعلى الرغم من ذلك فالحمام مغلق تمامًا ويتراكم بالحمام الكثير من المخلفات بالمدخل وبجميع الغرف، وعلى السطح (صورة ٣) وتستدعي الحاجة إلى إعادة تجديد وترميم الحمام لأهميته التاريخية والاقتصادية.

المصدر: الدراسة الميدانية ٢٧ – ٢٩ أغسطس ٢٠٢٢

صوره (٣) المشاكل التي تواجه التجديد الحضري لحمام الشرايبي٢٠٢٢م

- وبالنسبة لحمام **المؤيد** تواجهه نفس المشكلات التي تواجه حمام الشرايبي، وقد بدأت أعمال الترميم في الحمام منذ عشر سنوات إلا أنها توقفت حاليا ويتميز الحمام بوجود قاعات على شكل أيونات متعامدة على الفسقية الموجودة وسط الحمام. (صورة٤)

المصدر: الدراسة الميدانية ٢٧ – ٢٩ أغسطس ٢٠٢٢

صوره (٤) المشاكل التي تواجه التجديد الحضري لحمام المؤيد٢٠٢٢م

- وبالنسبة لحمام **بشتاك** تبين للباحث من خلال الدراسة الميدانية أن الحمام مغلق ولم يعد منه سوى الواجهة فقط بينما بقية الحمام قام أحد سكان المنطقة باستغلالها كمسكن له، حيث يتضح الإهمال الشديد للحمام والذي يعد أقدم حمامات مدينة القاهرة الباقِة من العصر المملوكي، حيث تم بناؤه عام٧٤٥هـ/١٣٤١م (صورة ٥).

المصدر: الدراسة الميدانية ٢٧ – ٢٩ أغسطس ٢٠٢٢

صوره (٥) المشاكل التي تواجه التجديد الحضري لحمام بشتاك ٢٠٢٢م

- وبالنسبة لحمام شيخو؛ يعد من أقدم الحمامات المملوكية الباقِية في مدينة القاهرة بعد حمام بشتاك وتم انشاؤه في عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، وهو من الحمامات غير الموجودة في دليل وزارة الآثار، ويستغل الحمام باعتباره مصنع ملابس في بعض أجزائه وجزارة في أجزاء أخرى، وأحيانا باعتباره مصنع شنط مدرسية وهو ما تم رصده من خلال الدراسة الميدانية، والحمام يتميز بأنه قائم وجميع الغرف به موجودة وحالتها جيدة ويمكن تجديده وترميمه بسهولة، واستغلاله اقتصاديا وثقافيا باعتباره مزارًا سياحيًّا مهمًا (صوره ٦).

وبشكل عام أدى وصول المياه إلى البيوت واحتواء المنازل على حمامات خاصة إلى قلة ارتياد الناس للحمامات العامة مما أسهم في تدهور حالتها العمرانية والصحية، وبينما كان زبائنها من الطبقة المتوسطة وبعض الطبقات الغنية التي كانت تحجز الحمام وخاصة الفخمة منها لحفلاتها الخاصة، اقتصر زبائنها على الطبقة الفقيرة أو القادمين من الأرياف للتمتع بمنافعها أو في بعض الحالات للإقامة فيها لعدة ليال تجنبا للتشرد أو حماية من برد الشتاء (رولي رفعت أبو خاطر ، ٢٠١٤م، ص٧٠) وتستدعي الحاجه في هذه الفترة إلى إعادة التجديد الحضري للحمامات المملوكية الباقِية من العصر المملوكي والتي لم يتبق منها سوى خمسة حمامات فقط .

-

المصدر: الدراسة الميدانية ٢٧ – ٢٩ أغسطس ٢٠٢٢

صوره (٦) المشاكل التي تواجه التجديد الحضري لحمام شيخو ٢٠٢٢م

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات وذلك فيما يلي:

(١) النتائج:

- نالت الحمامات اهتمام المماليك كونها تمثل أحد المنشآت الخدمية الضرورية التي ارتبط وجودها بالحياة الدينية والصحية والاجتماعية، فضلا عن كونها من المعالم المعمارية المهمة، ومظهرا من مظاهر التمدن والرقي الحضاري، ولكونها تمثل نواة لنشأتها تلي من حيث الأهمية: الجامع ودار الإمارة، والسوق.
- توجد بعض العوامل الجغرافية التي ساعدت على انتشار الحمامات بمدينة القاهرة في العصر المملوكي: ويأتي في مقدمتها ازدياد الكثافة السكانية في هذه الفترة، ورواج حركة التجارة بالمدينة حيث انتشار الأسواق بها، كثرة المؤسسات الدينية وإيقاف الحمامات عليها، وبالإضافة لذلك يعد عامل المناخ من العوامل الأساسية التي ساعدت على انتشار الحمامات.
- شيدت الحمامات على نظام يضمن للمستحم عدم تعرضه للإيذاء بالانتقال السريع من البرد إلى الحر أو العكس فقد كانت تشتمل على عدة بيوت، الأول منها مبرد مرطب والبيت الثاني مسخن مرخ والبيت الثالث مسخن مخفف، وفوق ذلك فالانتقال يكون بينهما تدريجيا، سواء عند الدخول أو الخروج ، أما القائمين بالعمل في الحمامات حسب أقسامها المختلفة ففي داخل الحمام يوجد (الناطور والحمامي والليوانجي والقهوجي والمزين أو الحلاق، البلان)، أما خارج الحمام أو في ملحقاته فيوجد (السواق، الزبال، الوقاد، السقا)، وكان يتم تزويد الحمامات بالمياه من مصادر متعددة، ويتم أحيانا إيصالها بمصادر المياه عبر قنوات وسواقٍ تنشأ لهذا الغرض، أو ربما ينقل الماء على الدواب إذا كان مصدره الآبار.

- انقسمت الحمامات إلى الحمامات الخاصة للخلفاء والأمراء والسلاطين والأثرياء، والعامة لعامة الناس والحمامات الوقفية وكان دخولها دون مقابل وحمامات أهل الذمة ويدخلها أهل الذمة من اليهود والنصارى.
- بلغ عدد الحمامات التي تم حصرها من المصادر المختلفة في العصر المملوكي (٤٢) حماما، كان عدد الحمامات التي لا زالت باقٍة منها (٥) بينما بلغ عدد الحمامات المندثرة (٣٢) حماما ويدل هذا الأمر على الإهمال الشديد التي تعرضت لها الحمامات خلال الفترة الحديثة من عام ١٨٠٠م، حيث كانت حمامات (الدود والساباط وحمام الصوفية وحمام الحسينية والخشيبة وسويد والقفاصين) موجودة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، حيث ذكرت جميعها في موسوعة وصف مصر وكذلك عند ريموند وبوتي، ولكنها اندثرت في الفترة الأخيرة.
- توجد حمامات باقٍة من العصر المملوكي ومع هذا لم تُثبت بسجلات وزارة الآثار مثل حمام شيخو وانما ذكرت تحت اسم خانقاه الأمير شيخو وذكر على مبارك أن الأمير شيخو هو من قام ببناء هذا الحمام، وذكره بوتي أيضا، وذكر عند المقريزي باسم **الصليبة**، وتم انشاءه عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م.
- تتركز الحمامات بمدينة القاهرة في العصر المملوكي في المناطق الشمالية والشرقية، ويرجع السبب في ذلك إلى عدة أمور أهمها، أن المنطقة الشمالية تتمثل في **منطقة القصابة** وهي الشريان التجاري الكبير الذي يمتد مخترقا المدينة الفاطمية ابتداءً من باب زويلة حتى باب الفتوح وكانت أكثر مناطق المدينة نشاطا في المجال الاقتصادي فضلا عن الكثافة السكانية المرتفعة، بينما المنطقة الثانية تتمثل في **ضواحي القلعة**، حيث مقر العسكريين والفرق العسكرية كما توجد بعض الأسواق الكبرى مثل سوق السلاح وسوق الرميلة، وعلى العكس تكاد تكون المناطق الغربية والجنوبية محرومة من الحمامات، وقد يرجع ذلك إلى تطرف هذه المناطق عن قلب المدينة كما

أنه يسكن بها عادة أناس فقراء، ويبدو أن التردد على الحمامات العامة كان ملمحا من تقاليد الطبقات الوسطى في حين كان للأغنياء حماماتهم الخاصة، ونجد في بعض الأحيان ارتباط موقع الحمامات بالمساجد وتعتبر مكملة لها حيث تتم فيها عملية الوضوء والاغتسال مثل جامع المؤيد وحمام المؤيد، كما في خانقاة شيخو وجامع وحمام شيخو.

- جميع حمامات العصر المملوكي الباقِية في مدينة القاهرة مغلقة (ماعدا حمام أينال) وتحتاج إلى تجديد وترميم وإعادة وضعها على خريطة الآثار المصرية، وذلك لأهميتها الكبيرة خلال العصور التاريخية لا سيما المملوكي والعثماني.
- اشتهرت الحمامات في العصر المملوكي بجمال مبانيها، حيث استخدم الرخام الملون في بنائها من الخارج والداخل وتكسيه أرضيتها وامتلائها بالأحواض ذات الأحجام المختلفة المملؤة بالمياه الباردة والساخنة والتي تصل إلى هذه الأحواض عن طريق أقصاب وهو ما لم يوجد بحمامات مصر الباقِية من العصر المملوكي.
- بالرغم من أن القانون المصري الحالي لحماية الآثار يوفر أعلى درجات الحماية على الآثار، فجميع الحمامات الأثرية الباقِية، فيما عدا حمام أينال الواقع بشارع المعز لدين الله، تعاني من الإهمال الحضري الشديد بالرغم من وقوعها في قلب العاصمة.

٢- التوصيات:

- يجب على وزارة الآثار المصرية والجهات المختصة الحفاظ على التراث المصري الإسلامي واتخاذ الإجراءات اللازمة، كما نص عليه قانون حماية الآثار المصرية الصادر عام ١٩٨٣رقم ١١٧فهي لا تقل أهمية عن التراث الفرعوني واليوناني والروماني.
- التجديد الحضري للحمامات الباقِية خلال الفترات الإسلامية المختلفة بدءًا من الفتح العربي لمصر وحتى العصر العثماني لما لها من أهمية تاريخية.

- تمثل عملية إعادة البناء ضرورة لبقاء المباني الآثرية ويلزم اللجوء اليها لإمكانية استمرار المبنى الآثري في أداء وظيفته سواء الإنشائية أو الاستخدامية، وتحتاج حمامات شيخو وبشتاك والمؤيد والشرايبي لمثل هذه الأعمال، لأنها مهددة بالسقوط والانهيار.

الهوامش:

١. **يقصد بالحمام: البيت العام الذي يقصده العامة والخاصة للنظافة وحفظ الصحة والمداواة، وقد أشتق اسم الحمام من الاستحمام بالحميم أي بالماء الحار، فالأصل في كلمة الاستحمام هي الاغتسال بالماء الساخن فقط ثم صار الاستحمام بعد ذلك الاغتسال بأي ماء كان ولكن الاشتقاق اللغوي لكلمة حمام تدل على وجوب ارتباطه بالماء الحار، راجع (ابن منظور، ١٨٨٣م، ص ١٥٤) (الفيومي، ١٨٩٩، ص٧١) (منصور محمد عبد الرازق، ٢٠١٤، ص١٨)**

٢. **السور: هو السور الذي أمر صلاح الدين ببنائه.**

٣. **الحانوت:** يقصد بالحانوت محل التاجر وورشة الصانع وهي أساس النشاط الاقتصادي في الأسواق وفي الأحياء التجارية (سلطاني أحمد، على السواء. (أحمد سلطاني،٢٠١٤م، ص٣١٤)

٤. **السحر: آخر الليل قبيل الفجر (المعجم الوسيط، ١٩٧٢م، ص٤١٩)**

٥. **البيمارستان:** إحدى المنشآت والعمائر كالمساجد والمدارس إلخ.. التي كان يشيدها الملوك والسلاطين والأمراء على العموم صدقة وحسبة وتخليدا لذكراهم، ولم تكن قاصرة على مداواة المرضي بل كانت بمثابة معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب. (أحمد عيسى، ٢٠١١م، ص٧)

٦. **الخانات:** كلمة فارسية الأصل، وهي بمثابة استراحة للتجار مجانا وبصفة خاصة على طريق القوافل أو عند أسوار المدن وانتشر بناؤها في عام ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م. (سليمان حسين، ٢٠١٨م، ص٣١)

٧. **الناطور:** في دهليز المدخل لمراقبة الدخول والخروج.

٨. **الحمامي:** في المسلخ وهو صاحب الحمام وحافظة فهو المسئول عن الأمانات ومتعلقات الزبائن وهو الحافظ لأموالهم ومتاعهم ويتحتم عليه أن يكون رقيقا لينا وهو الذي يتحكم في العمال ويحدد السعر الذي يتكلفه الزبون لقاء الاستحمام وهو من يدير الحمام وإذا كان الحمام للنساء فتكون زوجة الحمامي هي من تقوم بعمله (محمود درويش، ب.ت، ص١٧٦)

٩. **الليـوانجي:** هـو نائـب الحمـامي ويعمـل علـى خدمـة الزبـائن. (سـعاد محمـد حسـن، **١٩٨٤م، ص٢٣)**

١٠. **القهوجي:** يقدم المشروبات للزبائن. (محمود درويش، ب.ت، ص١٧٧)

١١. **المزين والحلاق:** يقوم بحلاقة الشعر للزبائن قبل الاستحمام، كما يقوم بعمليات الختان والحجامة وتقوم الماشطة بهذه الأعمال للنساء (الشيزري، ١٩٤٦م، ص٨٨)

١٢. **البلان:** يقوم بالتدليك وبتنشيف الجسد وتقوم البلانة بهذه الأعمال للنساء (الشيزري، ١٩٤٦م، ص٨٨)

١٣. **السواق:** وهو الذي يقوم بإدارة الساقية، ويقوم بضبط أجزاءها (محمود درويش، ب.ت، ص١٧٧)

١٤. **الزبال:** وهو الذي يقوم بإحضار الوقود للمستوقد (محمود درويش، ب.ت، ص١٧٧)

١٥. **الوقـاد:** وهـو المسـئول عـن عمليـات التسـخين والوقـود (محمـود درويـش، ب.ت، ص١٧٧)

١٦. **السقا:** وهو من يقوم بجلب الماء العذب المستخدم للشرب للحمام (محمود درويش، ب.ت، ص١٧٨)

١٧. **المقريزي:** توفي (٨٤٥هـ / ١٤٤١م).

١٨. **الخانقاة:** كلمة فارسية معناه في الأصل المائدة أو المكان الذي يأكل فيه الملك، ثم أطلق على الأماكن التي يتم إيواء الغرباء من المسلمين الوافدين والقيام بمعيشتهم وتثقيفهم، وكانت أشبه ما تكون بالمدرسة، وكان يتم تعليم العامة فيها وأصحاب الحرف والصناعات (عاصم محمد رزق، ١٩٩٧م، ص٢١)

١٩. **البيسري : هو الأمير شمس الدين الصالحي النجمي أحم المماليك البحرية للملك الصالح نجم الدين أيوب تنقل في الخدم حتى صار من أجل الأمراء في أيام الملك الظـاهر بيبـرس البندقـداري واشـتهر بالشـجاعة والكـرم وعلـو الهمـة (علـى مبارك،١٣٠٥هـ، ج٦ ص٦٦)**

٢٠. **الأقصاب: أنابيب خاصة متصلة بقدور من الرصاص في مكان مخصص بأحد جوانب الحمـام لتسـخين الميـاه يعـرف ببيـت النـار أو المسـتوقد (إبـراهيم عـامر، ٢٠٠٧م، ص٢٣).**

٢١. **قانون حماية الآثار رقم ١١٧ لسنة ١٩٨٣.**

المصادر والمراجع

أولا المصادر:

(١) ابن الأخوة(١٩٧٦م): معالم القربة في أحكام الحسبة، تأليف محمد بن محمد بن أحمد القرشي عرف بابن الأخوة (٦٤٨- ١٢٥٠م / ٧٢٩هـ - ١٣٢٩م)، تحقيق د. محمد محمود شعبان، صديق احمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(٢) ابن الفقيه(١٨٨٥م): مختصر كتاب البلدان، طبع في مدينة ليدن.

(٣) ابن بطوطة(١٩٥٨م): رحلة ابن بطوطة المسماة رحلة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الجزء الأول، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

(٤) ابن جبير(١٩٨١م): رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان.

(٥) ابن ظهيرة(١٩٦٩م): الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا، كامل المهندس، مطبوعات دار الكتب، ملتقى اهل الأثر، القاهرة.

(٦) أطلس مصر الطبوغرافي(١٩٩١م): مقياس (١: ٥٠٠٠٠)، الهيئة المصرية للمساحة بالتعاون مع الوكالة الفنلندية للتنمية الدولية، لوحات: غرب القاهرة – شرق القاهرة.

(٧) البغدادي (ب.ت): كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق تيم ماكنتوش –سميث، المكتبة العربية.

(٨) الدمشقي (١٣١٨هـ): إشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأعراض ورديها وغشوش المدلسين فيها، طبع بمطبعة المؤيد وعلى نفقاتها.

(٩) الشيخ الآمين محمد عوض الله(٢٠١٤م): أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

(١٠) الشيزري(١٩٤٦م): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تأليق عبد الرحمن الشيزري، قام على نشره: السيد الباز العربي، بإشراف: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

(١١) الطبري (ب.ت): تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، أعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن.

(١٢) المجلس الأعلى للآثار(٢٠٠٠م): دليل الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، الإصدار الأول، اشراف عام جاب الله على جاب الله، مجلس الوزراء برنامج الثقافة والتراث.

(١٣) المعجم الوسيط(١٩٧٢م): مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، دار المعارف المصرية، القاهرة.

(١٤) المقريزي (١٩٩٨م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الثاني، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (٧٦٤ هـ . ٨٤٥ هـ)، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي.

(١٥) ابن خلدون (١٩٨٨م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة ٢ الجزء الأول.

(١٦) أحمد بن محمد الحيمي (١٩٨٦): حدائق النمام في الكلام على ما يتعلق بالحمام، تعليق عبد الله الحبشي، الطبعة الثانية، الدار اليمنية.

(١٧) علماء الحملة الفرنسية(١٩٩٢م): وصف مصر الجزء العاشر، مدينة القاهرة الخطوط العربية على عمائر القاهرة، الطبعة الأولى، ترجمة زهير الشايب ومنى زهير الشايب، دار الشايب للنشر.

(١٨) علي مبارك(١٣٠٥هـ): من الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الجزء العاشر، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، القاهرة.

(١٩) قانون حماية الآثار رقم ١١٧ لسنة ١٩٨٣، الجريدة الرسمية العدد ٣٢.

(٢٠) ناصر خسرو(١٩٩٣م): سفرنامة، ترجمة د يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ثانيا المراجع العربية:

(٢١) إبراهيم عامر(٢٠٠٧م): الحمامات الإسلامية ودورها في الحياة العامة، جمعية إدارة الاعمال العربية، العدد ١١٩ ديسمبر.

(٢٢) إسماعيل، محمد. (٢٠١٧). الحمامات العامة في مصر – دراسة ميدانية عن المستوقد وتوصيل المياه، مركز دراسات البردي، المجلد ٣٤ العدد١.

(٢٣) أحمد سلطاني(٢٠١٤م): الحوانيت والمرافق العامة في مدينة الجزائر العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد٢، العدد٧.

(٢٤) أحمد عيسى (٢٠١١م): تاريخ البيمارستانات في الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة.

(٢٥) خالد زنيد(٢٠٠٣م): الحمامات العامة في بلاد الشام في العصر المملوكي، مجلة الذخائر، المجلد ٤، العدد١٣.

(٢٦) رحاب عبد المنعم (٢٠٠٥): التطهر في مصر القديمة وأصل فكرته المقدسة، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، العدد ١٨.

(٢٧) رولي رفعت أبو خاطر(٢٠١٤م): الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية، دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطية، مجلة الإنسانيات، جامعة دمشق، سوريا، عدد مزدوج ٦٣– ٦٤، يناير – يونيو.

(٢٨) سعاد محمد حسن (١٩٨٤م): الحمامات في مصر الإسلامية، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة.

(٢٩) سعيد عاشور (١٩٧١م): صور من مجتمع القاهرة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٨، القاهرة.

(٣٠) ـــ (١٩٩٢م): المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة.

(٣١) سليمان حسين(٢٠١٨م): خان الخليلي في العصر العثماني: دراسة تاريخية وثائقية، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد ٤٥.

(٣٢) شوكت الأتروشي: (٢٠١٧). الحمّامات في مصر الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ / ١١٧١- ١٢٥٠م) مجلة المنارة للبحوث والدراسات، مج ٢٣ ، ع ٣، ٢٤٢ – ٢٦٨.

(٣٣) عاصم محمد رزق(١٩٩٧م): خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، الجزء الأول، مكتبة مدبولي، القاهرة.

(٣٤) عبد الرحمن زكي (١٩٦٦): القاهرة تاريخها واثارها (٩٦٩- ١٨٢٥م) من جوهر القائد إلى الجبرتي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

(٣٥) عبد الكريم عز الدين الصادق(٢٠٠٦م): الحمامات الشامية في العصر العباسي المتأخر، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد ١٧ رقم ٢.

(٣٦) عبدالعال الشامي(١٩٧٩م): جغرافية المدن عند العرب، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد ٩، العدد١.

(٣٧) **عبد الغني عبد العزيز زيادة(٢٠١٧م)**: مشروعات الري في الأعمال الجيزية عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٦٠ – ١٥١٧م)، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد ٧٧، الجزء ٥.

(٣٨) غزوان ياغي (٢٠٢١): القصور والبيوت المملوكية في القاهرة: دراسة أثرية وحضارية، دار بريل للنشر في ليدن المحروسة وبوسطن.

(٣٩) ليوبولدو توريس (١٩٥٣): الأبنية الإسبانية الإسلامية، ترجمة علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد مجلد ١عدد١.

(٤٠) محمد سيف النصر أبو الفتوح (١٩٩٩ م): الحمامات بمنطقة بين القصرين وخان الخليلي من العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي؛ الخان الخليلي وما حوله، مركز تجاري وحرفي للقاهرة من القرن الثالث عشر إلى القرن العشرين، المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة.

(٤١) محمد فريد فتحي(٢٠٠٠م): في جغرافية مصر ، الطبعة الثانية، دار المعرفة الجامعية.

(٤٢) محمود درويش (ب. ت): موسوعة رشيد الجزء الثاني، التراث العمراني، مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع.

(٤٣) منصور محمد (٢٠١٤م): الحمامات العامة بمدينة حلب منذ بداية العصر الأيوبي حتى نهاية العصر العثماني دراسة آثاريه مقارنة، المكتب العربي للمعارف، الطبعة الأولى، القاهرة.

(٤٤) وائل مصطفى(٢٠٢٢م): زراعة الكتان وصناعته في مصر في العصر الوسيط دراسة في الجغرافيا التاريخية، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية – جامعة كفر الشيخ، العدد السادس والعشرين، يناير ٢٠٢٢م.

ثالثا المراجع الأجنبية:

(1) André, Raymond (1969): "Les bains publics au Caire", Annales islamologiques 8, IFAO.

(2) Dina Ghaly(2004): The Shari al-A'zam In Cairo: Its Topography and Architecture in the Mamluk Period, Doctor of Philosophy, University of Toronto.

(3) Edmond, Pauty (1933): Les hammams du Caire, MIFAO .

(4) EL-khashab Abdel-Mohsen (1979): Ptolemaic and Roman Baths of Kom el Ahmar, Imprimtie de l` Isitut francais d` archeologie oriental, Cairo.

(5) Magda Sibley (2006): The Historic Hammāms of Damascus and Fez: Lessons of Sustainability and Future Developments, The 23rd Conference on Passive and Low Energy Architecture, Geneva, Switzerland, 6-8 September.